حبيب

1219
١٢١٩

Eman
www.liilas.com/vb3

ليلة عاصفة

صادر عن دار م. النحاس

ليلة عاصفة

عاصفة ثلجية عنيفة منعت كارول من الذهاب الى مزرعة والديها عشية العيد. اذعنت للامر الواقع، وصممت على ان تمضي عطلتها بمفردها، وإذ بها تسمع طرقاً على الباب... وإذا بشاب غريب بدا في غاية الوسامة، وطلب اليها ان تأذن له بالدخول الى منزلها! لم يشعر مارك ستيوارت، في اي وقت مضى، بالفرحة بلقائه امرأة مثل فرحته في تلك اللحظة. كان يتجنب امور الحب والزواج. لكن يمر المرء بأوقات يحتاج فيها الى لمسة رقيقة من امرأة. كما حصل له، عندما اكتشف وجود مولودة جديدة، تركت في رواق منزله. وصول مارك غير المنتظر، أثار في كارول رغبة في تكوين عائلة ولو لفترة قصيرة. لكن بزوال الثلج، اختفى الحلم. يبقى الامل الذي قد يؤثر في الغرباء الثلاثة، فيجمع شملهم، وتتكون عائلة حقيقية.

Eman
www.liilas.com/vb3

لبنان [illegible] ل.ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار -
قطر: [illegible] ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار -
المغرب: [illegible] درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار - مصر [illegible] جنيه

52-87000-34707-5

هل انت واثق من اني بحاجة لاتعلم القيام بذلك؟

ادارت كارول رأسها عن الطفلة، فإذا بوجهها على مقربة حثيثة منه، وعندما التقت العيون، خفق قلبها خفقة خفيفة غريبة، وسرعان ما تحولت هذه الخفقة الى ضربات سريعة.

«لا نعرف الى متى سيستمر الثلج والجليد، كل ما نعرفه هو انه يتحتم علينا ان نتصرف كوالدين لها لعدة ايام.»

«عدة ايام.»

لم يكن يعلم ان كان سيبقى على قيد الحياة وبرفقته هذه السيدة لايام معدودة. فقد جعلته يفكر بأشياء لا يجدر به ان يفكر بها، وقال:«انا لا اعرف شيئاً عن الابوة.»

ضحكت ساخرة:«وانا ايضاً، لا اعرف شيئاً عن الامومة. اظن انه يمكننا ان نتعلم معاً.»

شبكة ليلاس الثقافية
Eman
www.liilas.com

الفصل الاول

عقدت كارول كالاغر هايز حزام روبها حول خصرها ثم مالت برأسها نحو صوت واهن يئز على نافذة غرفة نومها. هل هو الجليد؟

انطلقت مسرعة في غرفتها، بقدميها العاريتين وازاحت الستائر الثقيلة. كان الهواء الرطب الدافىء الذي تسرب من الحمام وهي تأخذ دشاً قد اضفى غشاءً على النافذة مسحت بيدها على الزجاج ثم راحت تحدق في الظلمة الداكنة، وتأوهت بصوت عالٍ لدى رؤيتها المنظر.

كانت شجرة الصمغ تغطي جزءاً من النافذة المقابلة لجهة الشمال، آنذاك، لم تمنع الاغصان، الا بشكل طفيف، وقف حبيبات الثلج الصغيرة التي كانت ترشق بقوة على زجاج النافذة.

آه، كيف يمكن ان يحصل ذلك في هذه الليلة وليس في سواها من باقي الليالي. انها ليلة العيد! عائلتها واصحابها مجتمعون معاً لاحياء حفلة خطوبة شقيقها نيكولاس.

انها لم تلحظ اي تكثف للغيوم قبل ان تدخل الحمام، قد لاتزال الرؤية واضحة على الطريق العام وربما تمكنت من الهبوط من الجبل بسلامة.

من امام واجهة منزلها، اسرعت كارول بحذر شديد نحو الرواق المتماسك ذي عرائش غطت الطرف الشمالي

شبكة ليلاس الثقافية
www.liilas.com

منه والتي كانت قد اعاقت بعض الجليد من ان يتسرب الى داخله. لكن السلم والرصيف الممتد على طول الجهة الملاصقة للمنزل كانت مغطاة بقشرة جليدية شفافة. وقد استطاعت كارول مراقبة هذا الجليد وهو يزداد سماكة دقيقة اثر دقيقة.

كانت كارول ترتجف عندما همت مسرعة في الدخول الى منزلها وبحذر شديد وفي الوقت المناسب، إذ سمعت جرس الهاتف يرن، وراحت تتشبث بقوة بردائها الثقيل في حين اسرعت لتجيب على المكالمة.

«آلو.»

«كارول، من حسن الحظ انك اجبت، لقد كنا جد خائفين من ان تكوني الآن في طريقك الينا وبسيارتك.»

على الفور، استطاعت ان تميز صوت شقيقها، فأجابت:«ستيفن، لقد خرجت لتوي من الحمام. ورأيت الجليد ينهال هنا بشكل جنوني وقد غطى الارض!»

«لقد تصورت ان يكون الوضع على ما هو عليه. انها تندف عندنا.»

«تندف؟ هل هي عبارة تختص بالطقس وتستعملونها في الجيش؟»

ضحك وأجاب:«كلا انها عبارة تعطي معنى بين المطر المتثلج والمطر المتجمد. كنت اعتقد ان الجميع يعرفها.»

«اظن اني لست مطلعة عليها قدر اطلاعك انت، يا شقيقي العزيز. إذن ماذا عساي ان افعل؟ اعتقد وعلى الارجح، ان الطريق العام قد تغطى الآن

بالجليد. ستيفن، لا يمكنني ان افوت حفل خطوبتكما انت وديانا. فمن دوني ما كنت خطبت!»

ضحك مجدداً وقال:«امنحيني بعض الثقة، يا شقيقتي. مهما يكن من امر، فأنا من وقعت ديانا بغرامه.»

ابتسمت كارول. كان شقيقها يبدو وكأنه امتلك العالم، وهي لا يمكن ان تكون اكثر سعادة بشقيقها مما هي عليه الآن. «نعم، ولكن لا تنسى بأنني انا من قربتها منك ولو قليلاً، والآن ليس باستطاعتي حتى ان اكون هناك لاحتفل معكما.» تأوهت ثم تمتمت:«ما كان علي ان آتي اليوم الى المنزل. كان من الافضل لي ان ابقى في المزرعة والبس رداءً رثاً للحفلة، لكنت على الاقل، بقيت هناك، ولست مسجونة هنا!»

صرخ بها بنبرة كان يرفعها على مجندين في الثكنة اثناء تدريبه لهم:«كارول، لا تفكري حتى بالمجيء الى المزرعة الليلة! قد تكسرين عنقك، او قد يحصل ما هو اسوأ.»

تغيرت ملامح وجه كارول فيما غمرتها خيبة امل. وقالت:«لقد اشتريت اطرا جديدة للسيارة، قد استطيع الوصول، ان انا قدت السيارة على مهل.»

«كلا! امنعك انا ووالدي من فعل ذلك، الطريق تصبح خطرة عندما تكون زلقة. وحفلة خطوبتي لا تستحق ان تنزلقي لاجلها من منحدر جبل.»

كانت كارول تعلم انه على صواب، لكن ذلك لم يشعرها بالتحسن. «اعرف... لكنني لا اريد ان افوت فرصة اللهو والمرح... ان مناسبة خطوبتك انت وأليسون قد

افرحتني، وجايمس واليزابيت قد وصلا لتوهم من شهر العسل. انها امسية العيد! هناك الكثير ينتظرني لاحتفل به بدل ان ابقى عالقة هنا!»

«اعرف عزيزتي، نريدك معنا ايضاً، لكن ليس على حساب سلامتك.»

«انه لامر سهل ان تتفوه بذلك. انت هناك، انا من هي مسجونة هنا ولوحدي!»

بدا وكأنه غير متحمس للفكرة، ورأت كارول بأنه ضرب من الجنون ان تشجع شقيقها على القدوم إليها. لذا قالت:«كلا، قد يكون عملاً جنونياً بالنسبة لكم وكذلك بالنسبة لي. ان ديانا واليزابيت قد تقدمان على قتلي ان حدث مكروه لاي منكما. عدا عن ذلك، بأي حال، ان بقي الوضع على ما هو عليه ولوقت طويل ستقوم السلطات المحلية بقطع الطريق.»

«نحن حقاً آسفون يا شقيقتي، وسنفتقدك لعدم وجودك بيننا، ربما قد تكونين معنا على العشاء.» اضاف مفعماً بالامل.

كان باستطاعة كارول ان تسمع الموسيقى المنبعثة من الراديو، وصوت والدها وهو يلاعب بنجامين لعبة الدغدغة كما كان يقاطع قهقهة وصراخ الصبي ضحك والدها العميق. لقد كان من السهل على كارول ان تتصور كيف ان عائلتها والاصدقاء مجتمعين مع بعضهم البعض في بيت المزرعة القديم، يشوون اللحم على نار الموقد، ويرقصون في الردهة ويشربون نخب خطوبة ستيفن مع كل اصناف الاكل والشراب،

وبالرغم من انها على يقين بأنها ستفوت تلك الفرصة، غير انها تمنت لهم الفرح والابتهاج.

«نعم، حسناً، قبل ديانا بالنيابة عني، واخبر والدتي ووالدي بأني سأراهما غداً، اذا كانت الطريق خالية من الجليد، هذا كل شيء. فيما عدا ذلك، لا تقلقوا عليّ، لدي الكثير من البقالة في غرفة المؤونة.»

«سنتصل بك لاحقاً هذا المساء، لنطمئن عليك.» وعدها بذلك، ثم اضاف:«وداعاً، شقيقتي، اكلمك بعد قليل، ولا تخرجي من المنزل لاي سبب من الاسباب، لا نريد ان يحصل لك اي مكروه.»

وعدت كارول شقيقها بعدم مغادرة المنزل، ثم اقفلت الهاتف. حسناً، ماذا عساها ان تفعل الآن؟ سألت نفسها.

اندفعت بسرعة وامسكت بجهاز تحكم التلفاز ثم ادارت التلفزيون وظهر مذيع الاصاد الجوية المحلي على الشاشة الذي كان يتابع العاصفة الجليدية بواسطة الرادار، وحسب معلوماته، تبين ان ليلة رديئة ستكون في الانتظار. كما ادركت كارول بأنها سوف لن تحبس في منزلها لليلة واحدة فقط. بل ستمر عدة ايام قبل ان يصبح بمقدورها مغادرة الجبل بسيارتها. ومثل هذا الامر لم يكن خارجاً عن المألوف في جبال بوسطن المنحدرة.

وبتنهيدة المنهزمة، نهضت عن الكنبة ودخلت غرفة نومها، كان شعرها لا يزال رطباً فقررت ان تجففه وتضع زينة خفيفة على وجهها وتلبس الثوب الذي

اشترته لترتديه هذه الليلة. وبما ان ظاهر الاشياء كان يوحي بأنها ستقضي امسيتها بمفردها، كان لا بد لها من ان تجعل من تلك الامسية امسية رائعة قدر الامكان

لقد اعتبر مارك ستيوارت الامر اعجوبة لانه استطاع ان يقود شاحنته حتى كتف الطريق دون ان تنزلق الى اسفل الوادي الضيق، وبما انه كان يبعد حوالي الخمسين ياردةٍ عن الطريق المؤدية الى منزله، اعتبر نفسه محظوظاً بحق، كان عليه ان يقطع المسافة المتبقية من الطريق، ومن ثم يعود للاهتمام بسيارته لاحقاً.

بعد ان وضع مفاتيحه في جيبه، اقفل سحابة معطفه الثقيل الذي كان يرتديه حتى رقبته، واعتمر قبعة وشدها على جبينه، ستكون رحلة باردة وطويلة، وبينما كان ينزلق بخفة من شاحنته ليواجه الجليد والريح، اخذ يتعجبٍ كيف انه ترك تكساس الجنوبية الدافئة ليقصد مكاناً مثل هذا!

حاول الصعود الى منزله لكن الطريق كانت زلقة بشكل لا يصدق، حاول مرات عدة، خلالها زلقت قدماه واجبر على ان يتشبث بالاغصان والنباتات الجافة النامية على حافة الطريق كي لا ينزلق ثانية عن الجبل الملتوي والمنحدرٍ، لم تمر اي سيارة بالقرب منه سواءً صعوداً او نزولاً، افترض مارك ان ما من احد يمكنه ان يكون غبيا ليخرج من منزله في مثل هذا الطقس، وهو الآتي من سانت انطونيو حيث الدفء وقد فاته الاستماع

الى نشرة الطقس الصباحية، وفي باله ان قليلاً من الثلج قد لا يشكل مشكلة كبيرة. لكنه في المرة التالية سيستمع حتماً!

استطاع الوصول الى طريق اكثر انبساطاً، فمتابعة المضي فيها كانٍ اكثر سهولة. اخذ مارك يسرع الخطى، متعطشا لدخول منزله الدافىء. وليحظى بطعام العشاء، ولان انطلاقه الى فورت سميث كان في ساعة مبكرة من بعدٍ الظهر، لم يخطر بباله ان يبقي ضوء الرواق منيراً، وتمنى الآن ان يكون ضوء الغاز الضعيف المثبت في الفناء على مقربةٍ من المدخل الامامي للمنزل. لم يستطع ان يرى شيئاً البتة لكنه كان متمكناً من خطاه، وكان يحسب ان الرواق ايضاً يغطيه الجليد.

كان يبحث عن المفاتيح في جيبه عندما رأى شيئاً على الارض قبالة الباب، مشى بحذر شديد فوجد انه صندوق يحتوي علىٍ شيء ما.

انه لم يترك صندوقاً في الرواق، هل يمكن انٍ يكونٍ احد الجيران قد مر بالقرب من هنا؟ وترك شيئاً خاصاً به؟ تبا يا مارك؟ حتى انك لم تتعرف على جيرانك بعد، راح يذكر نفسه.

مشى بحذر كي لا ينزلق، فتح الباب واضاء المكان، ثم حمل الصندوق الى داخل المنزل، ووضعه على طاولةٍ المطبخ، من الواضح ان احدهم اراد ان يقدم لي شيئاً ما، راوده هذا الظن بينما كان يخلع معطفه.

واذ هو يفرك يديه ليبعث فيهما الدفء، التفت نحو

الصندوق التفاتة حذرة. لقد كان مصنوعاً من الكرتون وحواشيه العليا مقفلة بترتيب. تردد في فتحه، قد يكون احد زملائه اراد ان يمازحه فترك هذا الصندوق الذي اذا ما فتحته سينفجر ببالونات وبأشياء مجنونة قد تملأ الغرفة.

لكن لا معنى لذلك كله، من ذا الذي يخرج في عاصفة جليدية، وخصوصاً على طريق جبلية ليقوم بمزحة؟

لقد قرر وضع حد لفضوله قبل ان يحضر لنفسه طعام العشاء، ففتح اطراف الصندوق ونظر الى داخله. قطب مارك جبينه وهو يتفحص قطعة قماش صوفية زرقاء هي اشبه بمعطف، من يمكن ان يقدم له معطفاً؟ فقد مضى على انتقاله الى اركنساس اسبوعان فقط. ولا احد في الجوار يعرفه، باستثناء البعض في المدرسة في فورت سميث. همّ بتناول المعطف من الصندوق، ثم توقف فجأة حين ازيحت طيات القماشة لتكشف عما يوجد تحتها.

انه طفل! مولود حديثاً! كان المنظر مذهلاً، وغير متوقع، حتى ان مارك بقي لثوان طويلة يحدق في هذا المخلوق الصغير، بوجهه الضعيف وشعره الاسود الخفيف.

هل هو على قيد الحياة؟ قذف المعطف جانباً ورفع الطفل من مكانه. كان الطفل ملتفاً بمنشفة، ولكي يشعر مارك بالراحة التامة، اطلق الطفل صرخة قوية وتلوى بين ذراعيه.

كم مضى من الوقت وهو ملقى في الرواق يتعرض لدرجة حرارة جليدية متدنية؟ نصف الساعة؟ ساعة؟ لا

يمكن ان يكون قد بقي لوقت طويل هناك، لان الصندوق كان جافاً وخالياً من الثلج.

كان الطفل لايزال بين ذراعيه، ركض ناحية غرفة النوم حيث وضع الهاتف على الطاولة، آه، ثم وضع السماعة مكانها بعنف، قبل ان يرفعها حتى إلى أذنه.

لم يكن الهاتف ذا فائدة وشركة الهاتف لم تقم على وصل خطه بعد. قد يحصل ذلك في الاسبوع القادم. فقد اخبروه ذلك. لكن الاسبوع القادم بالكاد يساعده الآن!

حسناً، هدىء من روعك يا مارك، خاطب نفسه، لا ترتبك! فكر! ماذا سنفعل؟ من الواضح ان هذا الطفل بحاجة الى عناية طبية، او على الاقل لشخص يعرف كيف يهتم بطفل، وانت لا تعرف!

عندما التفت الى وجه الطفل المتجعد، دب فيه الخوف، كان عليه القيام بعمل ما! لا بد ان الطفلة تعاني من انخفاض في الحرارة! اعمل على ان تبقى دافئة! نعم، ودثرها بغطاء!

اسرع مارك الى غرفة النوم وانتشل قميص فانيلا وكنزة سميكة من الخزانة...

اخذ مارك يزرع الغرفة جيئة وذهاباً بتوتر شديد، وقد حضن الطفلة بين ذراعيه وهي ملتفة بالقمصان. وفيما كان عقله يعمل في محاولة لاعداد ما يشبه خطة، اطلقت الطفلة صرخة عالية، وبحركة غريزية ضم مارك المولودة الجديدة الى صدره لتأخذ الدفء من حرارة جسمه.

اي نوع من البشر يكون هذا الشخص الذي استطاع ان يترك هذه الطفلة عند عتبة منزلي... لكانت قضت بسهولة بسبب ما تعرضت له من البرد القارس.
لا تهتم يا مارك، خاطب نفسه على عجل. لديك المزيد من الاسئلة الملحة لتعالجها في هذه اللحظة، مثل كيف ستهبط بهذه الطفلة من الجبل لتسلمها الى شخص يهتم بها بالشكل المناسب؟
لم يكن قادراً على المشي خمسة او ستة اميال تحت المطر المتجمد، لم تكن هناك اي وسيلة اخرى للهبوط من الجبل، لم تكن هذه المنطقة مأهولة بالكثير من السكان، لكنها لم تكن ايضاً منعزلة، وعلى الرغم من ان طريق الولاية الرئيسية لم تكن تبعد عن منزله اكثر من مئة ياردة، الا انها كانت شديدة الانحدار وملتوية حتى انه كان يشك ان باستطاعة سيارة عادية او شاحنة القيادة في مثل هذا الطقس.
يجب عدم تعريض الطفلة الحديثة الولادة للبرد ثانية بعدما عانت ما عانته. اذن ما هو الحل؟ الجيران؟ هل بإمكانه صعود الجبل؟
لقد دفع هذا السؤال مارك الى ان يسرع الى نافذة غرفة النوم. كان يدري ان ليس هناك من منازل على مقربة من منزله على الطريق المؤدية نزولا من ا لجبل، لكن قد يوجد منزل ما على الطريق صعودا.
مسح بيده على الزجاج وحدق من خلاله في المرجة امام المنزل وفي الطريق. ثم نظر عالياً نحو الغابات الكثيفة، ولمعت انوار باهتة من خلال الاغصان وجذوع

الاشجار، مما جعل مارك يتنهد بارتياح. فالانوار كانت تعني ان احدهم كان هناك وقد يقوم بمساعدته. مدد الطفلة حيث غطاها بمعطف، وغطاء للرأس وقفاز، ثم لفها بلحاف ثقيل وترك المنزل.
لقد حملت ريح الشمال العنيفة معها مزيجاً من الثلج والجليد، ووخز الجليد وجه مارك الذي كاد يعميه، في حينٍ كان الجليد الزلق تحت جزمته يجعل السير متعسراً، فيما كان قاصداً شاحنته.
ان حالة اليأس التي احس بها مارك جعلت كل ما في داخله يرغب في الهروب. لكنه اجبر نفسه على ان يزحف بأمان على الطريق، كان يدرك انه اذا ما وقع وكسر ساقه، سوف يموت مع الطفلة من التعرض للبرد القارس.
اخيراً عندما وصل الى الشاحنة، اكتشف ان مسكة الباب متجمدة، ضرب عليها بقبضته عدة مرات قبل ان ينكسر الجليد عنها مما يسمح للمزلاج بأن يفتح، كان يرتجف ومحبوس الانفاس حين دخل مع الطفلة الى داخل السيارة.
ليشتغل المحرك فقط، كان يأمل بذلك حين كان يحرك المفتاح في موضعه.
دار محرك الشاحنة بقوة، تنهد مارك بارتياح وادار جهاز الحرارة بكل طاقته، ثم ربط حزام الامان حول الطفلة قدر الامكان. شيء واحد كان مارك على يقين منه وهو انه في اللحظات القليلة الآتية ستكون القيادة صعبة.

حاول مارك بشكل من الاشكال، ان ينزل بالشاحنة الى الطريق العام، وبينما هو يعمل على ذلك، بدأت تنزلق على جانب الطريق، وكلما حاول تثبيتها لتبقى مستقيمة، كانت اطرها تغرز على الجليد من دون جدوى.

بعد عدة محاولات فاشلة للصعود الى التلة، خفف من الدوس على دواسة البنزين، لكن النتيجة كانت مماثلة ومأساوية، بدأت الشاحنة تنزلق الى الخلف، وبشكل مفاجيء داس مارك على الفرامل، التي كانت عديمة الفائدة بسبب الثلج والجليد، واستمرت الشاحنة في الانزلاق بسرعة كبيرة على الطريق المنحدرة والملتوية.

ولما رأى بأنهما كانا متجهين مباشرة نحو وهد عميق، اتخذ مارك قراراً فوريا بأن يقبض على المقود ثم يحاول حشر الشاحنة في الخندق.

بعد ان اصطدمت السيارة ومن ثم توقفت، بقي مارك للحظات طويلة، متشبثا بالمقود، وراح يأخذ أنفاسا طويلة مرتجفة، كان يرتجف خوفا ليس على نفسه فحسب بل على الطفلة التي كانت محزمة وممددة على المقعد بجانبه. لكان اهلك نفسه واهلكها!

لم يبق امامه الآن سوى المشي، فقد لاحظ ذلك بعد ان استعاد رشده. لقد تذكر تحذيرات بخصوص عدم ترك سيارة في عاصفة جليدية. لكنه كان يدرك انه لا يمكن البقاء هنا في شاحنة متجمدة ينتظر نجدة قد لا تأتي. ففي حالة كهذه، لا يمكن للطفلة ان تبقى على قيد الحياة، حتى انه لم يكن واثقاً من انه سينجو بنفسه.

كان الجليد يضرب على وجه مارك وعينيه فيما كان يحاول جاهداً حمل الطفلة الى الجبل باتجاه الانوار الباهتة التي كانت تلمع من خلال الغابة الكثيفة. كان متأكداً ان وجهه قد تجمد وكذلك يداه ورجلاه. لم يشهد مثل هذا البرد في حياته، كان خائفا ان يتصور مدى تأثير البرد على الطفلة، فقد كانت مربوطة بأمان بلحاف ثقيل لكنها سرعان ما تغطت بالثلج وفي وقت قريب تتسرب الرطوبة الى ثنيات اللحاف الداخلية ومن ثم الى الطفلة، كان عليه ان يسرع! عليه الا يسمح بحصول اي شيء لهذه الطفلة الصغيرة التي كان يحملها بين ذراعيه.

* * *

علقت كارول قرطين في اذنيها، ثم وقفت امام مرآة طويلة، كانت ترتدي بنطلونا فضفاضا شتويا ابيض اللون وكنزة كشمير تنسجم مع البنطلون، وقد تألقت احجار الراين على اعلى ثوبها وحول طرفي الكمين مانحة اللباس مظهر الاحتفال، اما شعرها فقد جف اخيراً واسترسل بنعومة حول وجهها وكتفيها. وتحت الخصل السوداء الفاحمة، تأرجح القرطان الغريبان بلمعان براق.

انها ليست بليلة سيئة في منزل العائلة القديم، امعنت كارول التفكير ثم اطلقت ضحكة، واستدارت عن المرآة لتضيف اللمسة الاخيرة – وانتعلت حذاءها الفضي بكعب عال.

ليس هناك من امر سيشعرها بالاسف على نفسها

الليلة، هذا ما كانت تفكر به وهي تغادر غرفة نومها. انها امسية العيد، وغداً تبدأ سنة جديدة، لقد ارادت كارول ان تكون هذه السنة مختلفة عن سابقتها اكثر من اي شيء آخر. وقد عزمت على ان تبدأها بتألق وابتسامة. حان الوقت كي تستمر بحياتها سواء كانت جيدة ام سيئة، كانت كارول على ثقة بأنها اخيرا اصبحت مستعدة لمواجهة المستقبل مرة اخرى.

كانت في المطبخ ترتب وجبة خفيفة على صينية عندما سمعت نقراً على الباب الامامي. لم تستطع ان تتصور ان احداً قد يكون خارج منزله في ليلة كهذه. لكن قد يكون شقيقها قد عزم على الصعود الى هنا. إذ يعرف عنه انه يقوم بأعمال مجنونة. هذا ما كان يساورها وهي تسرع لتفتح الباب.

وتوخياً للأمان، اضاءت الرواق، ثم نظرت من خلال ثقب الباب، لم يكن شقيقها هو الواقف في الخارج تحت الجليد، كان رجلاً يحمل بين ذراعيه رزمة تحتوي على شيء ما.

فتحت الباب قدر ما سمح به قفل الباب الخاص بالامان، وقالت:«هل يمكنني مساعدتك؟»

كان وجه مارك قاسيا جداً ولم يكن واثقاً انه قادر على تحريك شفتيه ليتكلم:«انا مارك ستيوارت.» تابع بعد لحظة:«اسكن على بعد منكم في قعر الجبل.»

استمرت كارول في تفحص وجهه او ما استطاعت ان ترى منه تحت قلنسوة معطفه الرمادي، هل يمكن ان يكون هو الشخص الذي اشترى مبنى مابري القديم

مؤخراً، فقد مرت بالقرب منه منذ يومين ولاحظت بشكل غير واضح، احدهم يتحرك في داخله.

«هل تواجه اي مشكلة؟ هل تحطمت سيارتك على الجليد؟»

نفد صبر مارك من اسئلتها، الم تر انه يتجمد من البرد؟ والطفلة تتجمد! لم هي حريصة الى هذا الحد؟ هنا ليست هيوستن او حتى نيويورك!

«كلا، سيدتي، احتاج مساعدتك هاتف. لدي طفلة هنا...»

«طفلة!» لهثت كارول. وبسرعة فتحت الباب. وهي تقول:«تفضل بالدخول.» حثته على الدخول دافعة بالباب المعدني بقوة.

خطى مارك نحوها الى داخل الغرفة الدافئة. لقد قضى نصف ساعة على الاقل ليصل الى هذا المنزل، اذ انه كان يشق طريقه على مهل صعوداً من الجهة الوعرة للجبل. لم يلمح اي سيارة، وقبل ان تفتح هذه المرأة الباب، بدأ يشعر وكأنه هو والطفلة اثنان من البشر فقط تركا على وجه الارض.

اغلقت كارول الباب بقوة في وجه الريح الجليدية، ثم دارت باضطراب نحو الرجل الذي خطا الى وسط الغرفة، وهو لا يزال حاملاً تلك الرزمة بين ذراعيه. سألت بسرعة:«هل اصاب الطفلة اي مكروه؟ هل استدعي الاسعاف؟»

اصطكت اسنانه بقوة وهو يقول:«سيدتي سيارة الاسعاف لا يمكن ان تصعد الى هنا!» التفت الى

الطفلة فيما كان يزيح عنها اللحاف. «عدا عن ذلك، لا اعلم ان كانت الطفلة بخير او انها تحتاج الى عناية! انها ولدت حديثا!»

بذهول نظرت كارول اليه بغباوة، هل الرجل مجنون؟ ام ان انخفاض الحرارة قد جعلت افكاره غير مترابطة! اندفعت نحوهما، قائلة:«ماذا تعني لا تعرف؟ اليست طفلتك؟» لفت انتباه كارول كثافة شعر الطفلة الملتفة بكنزة تفوق حجمها بكثير.

التفت مارك الى كارول، لكنه كان شديد الاضطراب لدرجة ان الشيء الوحيد الذي علق في تفكيره وجه جميل وشعر اسود طويل. اجابها:«كلا، انها ليست لي، لقد تخلى عنها احدهم ولا اعرف لمن تكون؟ فقد استدعي احدا.»

دفع الارتباك الذي خيم على صوته بكارول ان تسرع الى الهاتف لم تكن تعلم بالضبط ماذا تفعل الى ان رفعت سماعة الهاتف. «ماذا... بمن اتصل؟ ليس لدينا هنا خدمة اسعاف!»

رمى مارك اللحاف الذي غطاه الثلج على الارض، ثم تلفت بيأس في انحاء الغرفة ليجد شيئا يستعمله كلحاف.

«اتصلي بالمستشفى وبالتأكيد فإن شخصاً ما هناك يمكنه ان يعلمنا ما يجب ان نفعله لها!»

وجد بطانية على مقعد الكنبة. فانتشلها بسرعة ولفها حول الطفلة ثم حملها الى جانب المدفأة حيث كانت النار تتوهج ببطء.

كانت يدا كارول ترتجفان وهي تضغط بقوة على رقم اقرب مستشفى، ثم امسكت بورقة وقلم كانت تحتفظ بهما دائما بجانب الهاتف.

«احتاج لمساعدة!» اجابت بذهول عندما خاطبها صوت انثى، ثم توقفت عندما غمرتها فجأة موجة من الخوف.

«نعم، انا لم ازل هنا.» تابعت محاولة ان تستجمع نفسها:

«انا، آه، لدينا حالة طارئة ولادة طفل هنا و... آه... لا...لا.. لا توجد الام.» بدت مجنونة! «اعني... يوجد لكن الطفلة وجدت في العراء في الصقيع و...» توقفت وتنفست بعمق قبل ان تتابع:«نعم، نعم، انت على حق، لو تستطيعين فقط اعطاء بعض التعليمات... ماذا نفعل لها الى حين نؤمن لها تسهيلات طبيعية، ماذا؟ نعم، سأنتظر.»

ضربت كارول بيدها على سماعة الهاتف ثم نظرت الى الرجل والطفلة وقالت:«لقد حولوني الى قسم اطباء للاطفال، ارادوا ان يعرفوا شيئا عن الام، اين هي؟»

«كيف لي ان اعلم! هذه الطفلة كانت في الرواق الامامي عندما وصلت الى المنزل، وهذا كل ما استطيع ان اخبرك به!»

www.liilas.com

الفصل الثاني

كان مارك يزرع خطواته ذهاباً وإياباً، امام الموقد، في الوقت الذي كانت كارول قد انهت مكالمتها الهاتفية.
«ماذا سنفعل الآن؟ ماذا قالوا؟» راح مارك يمطرها بوابل من الاسئلة في حين بدأت الطفلة بالصراخ.
مزقت كارول ورقة من دفتر الهاتف وتقدمت بسرعة من الرجل الغريب والطفلة، وهي تقول:«لدي كلٍ شيء هنا.» ولوحت له بالورقة. «لقد صدف ان طبيبا للاطفال كان يقوم بجولته على مرضاه، وهكذا تمكنت من التحدث اليه. قال بأنه علينا ان نعالج الامر خطوة خطوة، وسيكون كل شيء على ما يرام.»
«حسنا، ما الذي يعرفه؟ انه لا يعرف ان هذه الطفلة كانت مرمية على الارض وتعرضت لعاصفة جليدية!»
وفجأة ارتفع حاجبا كارول عاليا، انها لم تهتم لتصرف هذا الرجل، ولو لذرة، نعم، انه يعلم ذلك، فقد اخبرته.
اذن، لم هي تبكي؟
كان صراخ الطفلة يعلو مع كل ثانية تمر، وقد طغى على صوتيهما:«لا اعلم، لم يكن لدي طفل!»
تمتم باشمئزاز:«لقد وجدت امرأة ولم اجد اما!»
لولا ان الامر يتعلق بالطفلة، لطردته كارول من منزلها على الفور.«اني لا اسمح لاناس اعرفهم بأن يصرخوا في وجهي، يا سيد، فكيف بالاحرى لأناس لست على معرفة بهم. وليس كل راشد يكون ابا او اما، هل انت والد؟»

هز مارك برأسه، خجلاً من انه سمح لعاطفته بأن تتغلب عليه.«كلا، انا لست والدا، واعتذر عن الصراخ عاليا. لكن، جن جنوني منذ اللحظة التي وجدتها في الرواق.»
قال ذلك وهو يحدق في الطفلة وهي تصرخ بين ذراعيه.
بسرعة اقتربت كارول منها.«سوف نقوم بالاهتمام بها.» قالت ذلك محاولة ما استطاعت ان تبدو مطمئنة.
ساور كارول شعور بأن الطفلة اصبحت جزءاً منه. وكأنها وبطريقة غريبة قد اصبحت ابنته. وليست مجرد طفلة وجدها في صندوق كرتون.
قالت كارول لاهثة وهي تنقل الطفلة الى الاريكة:«لم تكن تمزح؟ اليس كذلك؟ انها حقا طفلة حديثة الولادة.»
تبعها مارك بوجه ذابل من القلق. واجابها:«لا ادري بالتأكيد، ولكنها بدت وكأنها ولدت منذ ساعات قليلة.»
تابعت تخاطبه:«ادعى كارول ريغن هايز، ما اسمك انت؟»
مد يده مصافحا:«انا مارك ستيوارت.»
مدت هي يدها وللحظة قصيرة اطبق باصابعه حول اصابعها، وقد شعرت بأصابعه وكأنها قد تجلدت، ثم تذكرت على الفور ان هذا الرجل كان قد قام برحلته الى الجبل وسط عاصفة جليدية، قالت له:«انك تتجمد! كم من الوقت استغرقت رحلتك الى هنا؟»
هز كتفيه وفتح سحابة معطفه قائلا:«لست متأكداً، بدت الرحلة وكأن لا نهاية لها.»

اومأت كارول برأسها باتجاه الموقد، قائلة:«ان اردت ان توقد النار، قد يساعدك ذلك على ان تنعم ببعض الدفء انت والطفلة.» ثم استدارت ناحية الطفلة وشعرت بارتباك على الرغم من تحذير طبيب الاطفال لها بأن تلزم الهدوء وتستجمع قواها وهي تعالج امر الطفلة، وتابعت:«لقد اوصى الطبيب بأن نتأكد من انها تتنفس من دون اي صعوبة، كأن تصفر او تسعل.»

«كيف لنا ان نعرف ذلك؟»

اجابته:«قال انها في حال كانت تصرخ براحة، يكون تنفسها مرتاحا.»

«حسناً، انها من دون ريب، تبدو على هذا النحو، اذن ما هو الامر التالي؟»

«علينا ان نقوم بفحص حرارتها، حسب ما قاله الطبيب، اذ يجب ان تكون حين نتحسسها دافئة لا ساخنة، وان تكون بشرتها حمراء زهرية وليس رمادية او زرقاء، كيف تبدو لك؟»

عاد مارك الى الطفلة بعد ان دس حطبتين في الموقد. وقال:«حسناً، انها لا تبدو زرقاء اللون. لكن وجهها احمر.» وحسب ما تصورت كارول كان ذلك بسبب الصراخ، وحيث انها ليست بأم، لم تكن متأكدة من هذا الامر، لامست كارول بيديها ذراعي الطفلة وساقيها ثم ذهبت لتبحث عن ميزان للحرارة.

تركت الغرفة بسرعة، تاركة مارك ليراقب الطفلة التي حاول تهدئتها بكلمات ملطفة، لكنها لم تهتم لنبرة صوته واستمرت في الصراخ. ولأن مارك كان

مضطرباً فانه لم يستطع اسكاتها، فما كان منه الا ان تناولها وحضنها بين ذراعيه. وبدا انها عندما لامست كتفه هدأت بعض الشيء، ورويدا انقلب صراخها الى تململ خفيف.

تنهد مارك تنهداً عميقاً ابعد بيده شعره الرطب الذي استرسل على جبينه. كان رجلاً يعمل مع الاولاد كل يوم، لكنهم كانوا مراهقين، وكانوا يزنون اكثر من بضعة ارطال، يستطيعون هضم اي نوع من الطعام ويتواصلون بأساليبهم الغريبة الخاصة بهم، لم يكن المراهقون مثل هذه الطفلة الصغيرة التي كانت بين ذراعيه.

عادت كارول مسرعة الى الغرفة وبيدها ميزان الحرارة، وهي تقول:«ليس لدي ميزانا مخصصا للاطفال، لكن الطبيب قال ان باستطاعتنا استعمال اسلوب القياس تحت الابط في مثل هذه الحال.»

تنهد مارك وكارول بارتياح عندما قاما بقياس حرارة الطفلة، وظهرت انها طبيعية.

«حسناً، لقد علمنا انها لا تعاني من ارتفاع في حرارتها، بات علينا ان ننظفها ونطعمها.» قالت كارول ذلك وهي تلقي نظرة خاطفة على ملاحظات دونتها على عجل اثناء تحدثها الى الطبيب.

سألها:«هل تعرفين كيف تقومين بذلك؟»

استطاعت كارول ان تسمع نبره يأس في صوته، اذ انها كانت تشعر باليأس نفسه، لكنها كانت تدرك ان الاستسلام لهذا اليأس لن يجديهما نفعا، اذ

بات عليها وعلى هذا الرجل، الآن ان يبذلا قصارى جهدهما ويأملان ان في ذلك كفاية.

«سأعطي كل ما عندي.» اجابت بثقة تفوق ما كانت تشعر به.

نظر مارك اليها بأمل وسألها:«هل سبق ان اهتممتٍ بالاطفال؟ او عملت كحاضنة؟» فكرت، ان صفا من 25 تلميذاً كان يشعرها احياناً بأنها حاضنة، اجابت:«نعم، لكن ليس لطفلة كهذه!»

«وانا لم اكن ايضا، كانوا جميعهم... اكبر منها حجما.»

اعادت كارول النظر اليه واحست برجفة خفيفة تسري في مكان ما من قلبها، فقد كان مارك ستيوارت اسمر، قويا، ويمتلىء رجولة.

لونت الفكرة خديها فيما كانت تجيب:«حسناً، اعتقد ان لدي بعض الكتب التي قد تساعدنا.»

«كتب!» اخذ مارك يهمهم بصوت لم تستطع كارول هايز سماعه حين كانت تغادر الغرفة.

وماذا بعد هذه الكتب، اخذ يخاطب نفسه، انها امرأة ناضجة، عليها ان تكون ملمة بشؤون الاطفال. من المفترض ان تمتلك النساء ذاك الحس الداخلي الذي يعمل لا شعورياً اذا ما رزقن بطفل.

لكن لم يكن لكارول طفل، شرع يذكر نفسه، لذا ليس باستطاعته ان يلومها ان لم تمتلك الخبرة، انه لم يشعر في حياته كلها بالعجز الذي هو فيه الآن، كان يدري انه غير منطقي في تفكيره وحاول تهدئة نفسه،

كما انه لم يكن من المنطق ان يفرغ غضبه وكبته على هذه المرأة. نظر الى الطفلة ثم اومأ برأسه، وقال:«لا عليك، ايتها الفتاة الصغيرة، سأبذل جهدي كي لا يحصل شيء لك.» باضطراب شديد، ألقت كارول نظرة على صف من الكتب، وحين وجدت العناوين التي تبحث عنها، انزلت الكتب عن الرفوف وأسرعت بها الى غرفة الجلوس.

كان مارك ستيوارت لا يزال قرب الموقد والطفلة بين ذراعيه. فكرت وهي تتأمله، انه لم يكن لديه طفل، لكنه لم يمسك الطفل بشكل اخرق كما يفعل الرجال عندما يتعاملون مع اطفالهم لاول مرة.

قادت تلك الملاحظة افكارها نحو خطوة ابعد... ما اذا كان لهذا الرجل زوجة. يبدو انه في اواخر العشرين، وهو بالتأكيد عمر يستقر فيه معظم الرجال ليقوموا بدور الزوج. لكن لم يبد عليه مظهر الارتباط الذي عادة يملكه الرجال المتزوجون.

في الوقت الحاضر، اكان مارك ستيوارت مرتبطاً، او غير مرتبط هو امر بالكاد يكون مهما، هكذا راحت تخاطب نفسها، وهي تنضم اليه عند الموقد. لديهما الآن طفل يحتاج لعنايتهما.

«ان هذا الكتاب الذي يتحدث عن الولادة وكيفية الاعتناء بالطفل قد يطلعنا على بضعة اشياء.» قالت ذلك وهي تقلب صفحاته بسرعة. فقد اشترت الكتاب عندما كانت تخطط مع غريغور لانشاء عائلة. ولسوء الحظ لم تسنح لها الفرصة بأن تستعمله. بسبب مقتل غريغور.

قالت:«من الواضح ان الطفلة بحاجة لاغتسال.»
بدا مارك بملامح متجهمة، وهو يقول:«ما يشغل بالي في هذه اللحظة، هو انني اريدها ان تأكل!»
رمقته كارول بنظرة جانبية وهي تقول:«وهذا لسان حالي، يا سيد ستيوارت، لكن لا يمكن ان نعطيها حليب بقر عادي!»
«لم لا؟»
اجابت كارول رداً على سؤاله الساذج:«لان هضمه صعب، فالاطفال لا يشربون ذلك النوع من الحليب. الطبيب اعطاني وصفة غذاء بدلاً من الحليب، استطيع مزجها لحين تنتهي العاصفة حيث يمكننا النزول الى المدينة.»
بدأت الطفلة تبكي من جديد، واخذ مارك يهزها بلطف، محاولاً تهدئتها. «حتى لو عرفت الغذاء الذي ستقدمينه لها، بأي طريقة ستعطيها إياه؟ هل لديك زجاجة اطفال هنا؟»
تجاهلت كارول اسئلته واستمرت في القراءة، اراد مارك ان يصرخ بقوة، فهو رجل ديناميكي وانتظاره ريثما تنتهي كارول من تثقيف نفسها حول امور الاطفال كان امرا يثير جنونه.
اخيراً التفتت اليه واجابته:«ماذا؟ زجاجة؟ آه، نعم، اظن ان لدي واحدة، احدى صديقاتي لديها طفلة وقد تركت زجاجة هنا منذ فترة.» اومأت اليه بأن يتبعها الى خارج الغرفة. «تعال سنأخذها الى المطبخ وسأبدأ بجمع الاشياء مع بعضها البعض.»

مشى مارك خلفها وعيناه تشعان بينما كان ينقلهما بين كارول والغرف الكبيرة التي كانا يمران فيها، فالمنزل كان يظهر عليه مظهر الترف مقارنة مع المكان الذي انتقل لتوه إليه. فقد فرش بأثاث حديث غالي الثمن، وبسجاد سميك وستائر كانت تكشف عن النوافذ اكثر مما تغطيها، وقد ازدانت الجدران بلوحات زيتية، في حين ان قطعاً فنية رقيقة الصنع، ونباتات وضعت في احواض فخارية، استقرت هنا وهناك في اماكن اختيرت لها بدقة، ومع ذلك، فالمنزل بالنسبة لكارول ريغن هايز لم يكن يحتوي شمعة، هذا ما ادركه مارك.
في وقت مضى، وعندما شرع بالصعود الى الجبل مع الطفلة، تمنى ان يجد امرأة في هذا المنزل، حسناً ها قد وجد امرأة مناسبة، اطرق مفكراً، لكن هل كانت تلك المرأة التي تمناها كي يجدها؟
سألها:«هل كنت تعدين نفسك للخروج من المنزل الليلة؟» بالتأكيد، لم تكن لترتدي رداءً كالذي ترتديه الآن لو انها باقية في المنزل.
«نعم، كنت ذاهبة الى بيت عائلتي، فنحن نحتفل بخطوبة شقيقي الليلة. كنت اتحضر للذهاب عندما بدأ الجليد يتراكم.»
ثم عادت وحدقت به من اعلى كتفها مبتسمة، وقد بهرته بذاك التحول المفاجىء في ملامحها، ثم راحت تسأله:
«وماذا عنك انت؟ هل كنت تتحضر للاحتفال ايضاً؟»

اوما برأسه نافياً:«كلا، لازلت قيد الانتقال الى المنزل الجديد. كنت سأفرغ محتويات الصناديق.»
هتفت كارول:«شكرا لانك فعلت ذلك! لا اتحمل مجرد التفكير بأن الطفلة كانت في الصقيع، هل لديك ادنى فكرة كم من الوقت بقيت هناك؟»
دخلت المطبخ واضاءت الضوء القاتم فوق رأسها، وتبعها مارك الى حيث توجد طاولة صغيرة، وقال:«ليس تماما، لقد قدت سيارتي الى فورت سميث قبل الظهيرة بوقت قليل ولم اعد الا عندما ضربت العاصفة. من الممكن انها كانت قد تركت هناك في اي وقت اثناء فترة ما بعد الظهر.»
ارتعشت كارول للفكرة:«حسناً، سيكون الامر رهناً بالسلطات لتكشف الفاعل... لكن دعنا نهتم بها اولا قبل ان نزعج انفسنا باستدعاء عمدة البلدة او اي شخص كان، هل انت موافق؟»
اوما مارك برأسه موافقا، وقال:«نعم موافق! وعلاوة على ذلك، فالسلطة المحلية لن تستطيع الوصول الى هنا، ونحن بالتأكيد، لا يمكننا ان نخرجها الليلة على الاقل. حتى وان استطعنا، فأنا اعتقد انه لا يناسبها ان تتعرض ثانية للصقيع. فالطقس في الخارج لا يلائم انسانا ولا حيوانا. فكيف بالاحرى طفلة حديثة الولادة.»
«انت على صواب، سنعمل كل ما في وسعنا لحين يصبح بمقدرونا ان نوصلها الى المدينة.»
قال، وعيناه مسمرتان على الطفلة:«اعتقد ان علينا ان نقوم بدوري الأم والاب لها الآن.»

لم يكن يعرف مارك ستيوارت مدى تأثير كلماته فيها، كما لم يكن يدري كم من مرة تمنت كارول كي تصبح والدة وكم حزنت في داخلها عندما ادركت انها غير قادرة على الانجاب. والآن فجأة، اصبح لديها طفلة بحاجة لرعايتها.
نظرت كارول نظرة خاطفة الى مارك والطفلة بينما كانت تحاول ان تفهم معنى تلك العواطف الغريبة الجياشة التي كانت تضطرب في داخلها، قالت بصوت ابح:«حسنا اذا كنت موافقا على حملها، سأذهب لآتي بما نحتاجه لغسلها.»
استدارت كارول وابتعدت عنه خطوة عندما قال:
«اعتقدت اننا سنطعمها اولا.»
عادت اليه وخاطبته:«سنطعمها، يا سيد ستيوارت، عليك فقط ان تهدأ وتفكر في الامر، ستجد انها بحاجة للاستحمام قبل ان تأكل.»
اخذ مارك يراقب احجار الراين وهي تلمع في اذنيها، لقد ادرك ان هذه المرأة هي ابعد ما يمكن عن ان تكون والدة.
سألها:«آه، وكيف توصلت الى هذا الاستنتاج، اهذا ما اوصاك به الطبيب؟»
اخذت نفساً طويلاً وعميقاً وقالت:«لم يقل ذلك، فقط اعطاني تعليمات حول طريقة غسلها واطعامها، لكن لدي ما يكفي من الفطنة لاعرف انها متى اكلت، فانها حتما ستنام، وستنزعج ان هي لم تستحم.»
«انظري يا آنسة هايز، كما اخبرتك منذ دقيقة، لا

ادري كم من الوقت بقيت هذه الطفلة في رواقي، ومن المؤكد اني لا ادري منذ متى ولدت، وقد يكون ذلك منذ ساعات وساعات، قد تكون المخلوقة الصغيرة تتضور جوعاً الآن!»

اختفى احباط كارول مدبراً، اذ راحت تراقب يده الاخرى ترتفع لتحضن الطفلة بحركة وقائية كاملة.

كيف يمكنها الا تتأثر بحنانه الواضح؟

اجتازت خطوات قليلة كانت تفصل بينهما وبلطف مررت اصابعها على رأس الطفلة، وقالت:«يا سيد ستيوارت، اني امرأة بما يكفي لادرك ان حليب الوالدة ليس دائما متوفرا فور ولادة الطفل. احيانا يستغرق الامر عدة ساعات قبل ان يتقبل الطفل الحليب.»

وبالرغم من ان وجهها كان محنيا فوق وجه الطفل، استطاع مارك ان يرى توردا ينتشر على خديها، من الواضح انها كانت منزعجة وهي تناقش اشياء اساسية كهذه، مع رجل. وهو كان يشعر ايضا بالانزعاج مما توصلا إليه من نقاش، ليس لانها قد تحدته، لكن لانها اخبرته انه ولو كان في التاسعة والعشرين من عمره، فهناك امور يجهلها عن المرأة، خصوصا ما يتعلق بالولادة.

«حسنا يا مارك، انت لم تقل ابداً انك على دراية بكل شيء، اليس كذلك؟»

بقيت كارول منتظرة منه ان يقول شيئاً ما، وعندما لم يتكلم، رفعت نظرها نحوه وعلى الفور احست بشعور غريب في داخلها. كانت تعتقد ان الرمادي لون يفترض

ان يكون بارداً، لكن عيني ستيوارت كانتا توحيان بأي شيء باستثناء انهما باردتان. «سيد ستيوارت.» بدأت بالكلام، ثم توقفت عندما هز برأسه، ثم قال:«مارك سيدتي. اتصور اننا يجب ان نتفق على التسمية على اساس الاسم الاول.»

فجأة بدأت ترتعش ولم تدر السبب، لم يكن بسبب صوته، او النظرة الدافئة في عينيه، او لانه ارادها ان تناديه بمارك. كان شيئاً بداخلها. شيء اعتقدت انه مات مع موت زوجها. لكن دنو هذا الرجل منها، رائحته، نظرته القاسية كانت تحثها على العودة الى الحياة.

«حسناً، يا مارك.» قالت وهي تبتعد عنه خطوة في حين كانت تحاول ان تبتسم له ابتسامة عرضية. «من الافضل ان احضر اغراض الطفل.» هذه المرة لم تنتظر كارول موافقته. فاستدارت وغادرت الغرفة.

كان مارك يراقبها وهي تغادر الغرفة، وينظر الى تمايل شعرها وهي تحرك رأسها. واطرق مفكراً، لم يستطع ان يتذكر ان رأى في حياته امرأة ذات بشرة بيضاء عاجية كبشرتها وعينين خضراوين هما اقرب الى اللون البني، وشعر لونه بلون منتصف الليل، لقد تعثر بزهرة ايرلندية في وسط عاصفة جليدية.

www.liilas.com

الفصل الثالث

بعد خمس دقائق، عادت كارول الى المطبخ تحمل ملء ذراعيها حرامات ومناشف، صنعت منها وسادة وضعتها على طاولة المطبخ، ثم اسرعت تحضر ماءً فاترة وصابوناً ملطفا. وبينما كانت تتحرك بسرعة في الغرفة، كان مارك يتأمل الغرفة من طرف الى آخر. كان يجهل انه مجرد ان يكون للمرء طفل، سيجعله عاجزاً، ومهما تكن الظروف ضاغطة في الوقت الذي وجدت فيه هذه الطفلة، فقد كان يشعر بمسؤولية تجاهها في هذه اللحظة، كما لو كانت طفلته حقيقة.

«حسناً، اظن ان كل شيء جاهز، ضعها على الحرام.» اشارت كارول إليه، ومجرد انه وضع مارك الطفلة على الوسادة، حتى بدأت بالصراخ واحمر وجهها غضباً، وراحت تلوّح بشدة بذراعيها الصغيرتين على جانبيها.

«هل هي دافئة بما يكفي؟ ماذا اصابها؟» سأل كارول وهو يحدق في الطفلة عاجزاً.

بالكاد استطاعت كارول ان تسمع سؤاله. اذ انها كانت تسحب البطانية وتتفحص الطفلة، وساورها الظن بأن مارك ستيوارت كان على حق عندما قال انها انجبت منذ ساعات فقط. ارادت كارول ان تنفجر بالبكاء من الطريقة المحزنة التي استقبلت بها هذه الطفلة في الحياة.

لم تدرك انها كانت تبكي، لكن ذلك حصل لان مارك ستيوارت فجأة اخذ يربت على كتفها.

«ما الامر؟ هل انت تبكين ايضا؟»

وبغصة، هزت رأسها بسرعة قائلة:«لا يمكنني تحمل رؤية ما جرى لهذه الطفلة الغالية، فقد رميت كأي خرقة قديمة بالية غير مرغوب فيها.» ثم مدت يدها ومسحت الدموع التي انهمرت على خديها. «كيف يستطيع انسان ان يقوم بأمر كهذا؟ كيف حصل ذلك؟»

كان مارك يدرك تماما ما كانت تشعر به، فقد ساوره نفس الشعور عندما قام بسحب الطفلة من الصندوق، كان يضغط بيده على كتفها وهو يقول:«قد تكون تستحق والدين يحبانها حبا حقيقيا.»

كان على كارول ان تصدق ما قاله:«نعم، انت على حق، وهي في عهدتنا الآن. هذ ما يهم.» وبعزم متجدد، قامت كارول لتغسل الطفلة، وفيما كان أثر الاوساخ يختفي عنها، كانت دموع كارول تختفي ايضا، ان هذه الطفلة محبوبة، راحت تخاطب نفسها بقوة. لانها قد احبتها.

منذ اللحظة التي مدّت فيها كارول الطفلة على الطاولة، كان مارك قد اتخذ موضعا ليكون قريباً من كتفها الايسر.

وحاولت كارول ان تغض الطرف عن وجوده بالقرب منها طيلة الوقت الذي استغرقه غسل الطفلة، لكن الامر صعب لانه كان قريباً جداً منها، حتى انها كانت تشعر بحرارة جسمه.

«حسب تعليمات الطبيب، تبدو على ما يرام، كما تبدو رئتاها معافيتان، وهذا امر جيد.»
«لكن ليس من الصالح لها ان تبكي على هذا النحو.» قال مارك ذلك بانفعال.
اوضحت له قائلة:«ما استطيع تذكره عن والدتي، ان هذا الامر طبيعي، كانت تقول ان شقيقي ستيفن بقي يصرخ طيلة الاشهر الثلاثة الاولى من عمره بسبب مغص في معدته. ثم عاد فتعافى... انه لامر مقرف.»
كان يراقبها وهي على وشك ان تنتهي من غسل الطفلة، ثم قامت بتجفيف جسمها باهتمام فائق.
لقد بدا عليها انها تتدبر امر الطفلة بثقة، وهذا امر صعب بالنسبة لشخص لم يكن لديه طفل من قبل.
«لا اعتقد انك تحتفظين بحفاضات هنا، ماذا سنستعمل؟»
ابتسمت كارول ابتسامة خفيفة وقالت:«ستقوم بصنع بضع منها في الوقت الذي اكون فيه امزج وصفة الغذاء.»
حدق بها مندهشاً، واجاب:«انا؟ لا استطيع صنع حفاض، بالكاد اعرف كيف اضعه لطفل، فكيف حري بي ان اصنع واحدا!»
لو لم يكن صراخ الطفلة مزعجاً الى حد كبير، لكانت ضحكت لنظرة الارتباك التي ارتسمت على وجهه، كيف يستطيع الرجال مواجهة عدوهم في المعركة بشجاعة، في حين يفرون على اعقابهم عندما تواجههم مسألة الاهتمامن بطفل حديث الولادة!

«بالتأكيد، قد لا يكون الامر صعباً الى هذا الحد.» قالت مؤكدة له ذلك. «عندما ذهبت لآتي بالحرامات، وجدت شرشفاً ابيض. تستطيع ان تقصه الى مربعات كبيرة في حين احضر لها انا زجاجة من الحليب.»
ان مارك مستعد لان يفعل اي شيء ليرى زجاجة حليب في فم الطفلة. وقد شعر الى حد ما بذلك الشعور عندما رآها تأكل. فقط اطمأن عليها... انها حقا بخير.
احضرت كارول شرشفاً ومقصاً وقصت له نموذجاً عن حفاض. وبينما كان يصنع الحفاضات، وضعت كارول منشفة سميكة حول الطفلة وثبتتها بدبوس لفترة موقتة، ثم لفت الطفلة بغطاء فضفاض.
«انها تبدو جميلة.» قالت كارول بصوت ناعم، وهي تضع زيتاً خاصاً بالاطفال على رؤوس اصابعها وتمسح به شعر الطفلة الاسود.
«اتدرين، كلما فكرت بالمسألة كلها، كلما تساءلت اي نوع من النساء تكون تلك المرأة التي تنجب، ثم تترك طفلها مع شخص غريب.» قال مارك ذلك بقلق غاضب.
نظرت كارول اليه وقالت، بعد ان ارتسم على وجهها تعبير ينم عن اهتمام:«ربما لم يكن شخصاً غريباً، ربما كان شخصاً يعرفك.»
بحركة من رأسه يشوبها الشك، لم يوافق على ما قدمته من اقتراح. «لقد مضى على انتقالي الى هنا اسبوعان فقط، والاشخاص الوحيدون الذين اعرفهم هم من سأعمل معهم.»

«في اي مكان؟»
«في فورست سميث، انا مدرب بايسبول للصفوف الثانوية واستاذ تاريخ.»
إذن مارك ستيوارت استاذ، اطرقت تفكر بفضولية، بالتأكيد يناسبه دور المدرب، لكن من الصعب تخيل هذا الرجل يحاضر في مادة التاريخ، امام مجموعة من الطلاب الثانويين.
قالت معلقة:«انه وقت غريب من السنة، تحصل فيه على مهنة تعليم.»
«ليس بالتأكيد، انها فترة بين فصلين، لكن لو اني اعرف احداً يجعلني ابقى هنا...» رفع كتفيه ثم انزلهما، محاولاً ان يخبرها بأنه وحيد مثلها. «لا اعرف احداً هنا او في تكساس بامكانه القيام بعمل كهذا.»
سألته باهتمام:«اذن اعتقد ان اختيارك لمنزلك كان اختياراً عشوائياً.»
التفت مارك الى الطفلة وقد بدت وكأنها تحاول ان تنام من جديد، لقد أراحه ان صراخه توقف اخيراً، ومهما قالت كارول هايز عن ان صراخها امر طبيعي، فانه لم يكن يرغب في ان تصرخ الطفلة، فذلك يعني ان امراً ما قد حصل لها.
«لكن لماذا؟» اخذ يتساءل بصوت عال:«لم اختار منزلي؟» هزت كارول رأسها بحزن بينما كانت تستدير ناحية الخزائن وراءها وقالت:«الناس يفعلون اشياء غريبة لاسباب غريبة، اظن ان والدة الطفلة جداً يائسة الآن.»

«ما الذي يدفعك على التفكير انها الوالدة؟ قد يكون والد الطفلة هو من وضعها في رواقي.»
مد مارك يده، وراحت كارول تراقب اصابعه وهي تربت بلطف على خد الطفلة الناعم، كان ذا يدين كبيرتين وكفين غليظتين واصابع طويلة، اما بشرته فكانت شديدة السمرة مقارنة مع بشرة الطفلة المحمرة، وقد تبدو اكثر سمرة إذا ما قورنت ببشرة كارول البيضاء.
تساءلت بيأس، ان هذا الرجل غريب! وفي هذه اللحظة بالذات، ينبغي ان تفكر بالطفلة فقط.
اطرق مارك مفكراً، وقال:«اعتقد اننا سنكشف عن الحقيقة في وقت قريب.
استدارت كارول نحو الخزائن لتبحث عن زجاجة الحليب، ومارك واقف وراءها، لاحظ انه لم يزل في معطفه، خلع عنه لباسه الرطب ووضعه فوق الكرسي.
«لقد وجدتها.» قالت كارول ذلك بعد مضي دقيقة، حيث تناولت زجاجة الحليب البلاستيكية عن الرف السفلي ورفعتها كي يراها مارك «اعتقد اننا كنا وقعنا في مشكلة اسوأ لو لم نجدها.»
انضم اليها مارك قرب الخزانة، وقال لها:«ربما استطعنا ان نستعمل قفازاً مطاطياً كما تشاهدين في جميع الافلام القديمة، يبدو انه يساعد.»
ابتسمت كارول لاقتراحه، وفي اعتقادها انهما قادران ايضاً على ايجاد ما استطاعا من دعابة في الموقف. اقل ما يمكن، ان ذلك سيكون افضل من ان يعيشا

على المأساة التي لكانت قد حصلت لو لم يجد مارك ستيوارت الطفلة في الوقت المناسب. قالت:«حسنا، في الحقيقة كنت افكر منذ لحظة بفيلم قديم، حيث تجبر الظروف ثلاث رعيان بقر على الاهتمام بمولود يتيم.» «انه العرابون الثلاثة، لجون واين.» قال ذلك بابتسامة عريضة.

وقد تسببت تلك الابتسامة الكسولة بخطوط وتجاعيد في خديه، وومضت عيناه الرماديتان بشكل ماكر.

شعرت كارول بعينيها تنجذبان الى وجهه، وكأنه لم يكن في الغرفة شيء لتنظر إليه سواه. ثم قالت:«هل شاهدت الفيلم؟»

«نعم.» اجاب بضحكة خافتة.

كانت كارول مسرورة لترى ان هذا الرجل كان قادراً على المزاح على الرغم من الظروف المحيطة بهما، كما كانت مسرورة ايضا لانها كانت تشاركه الضحك، ثم انها ارادت ان تظهر لنفسها ان كونها وجدت ذلك الرجل جذابا، لم يكن في الحقيقة امر يقلق.

راح مارك يراقبها وهي تثقب علبة تحتوي على الحليب المكثف.

ثم سألها:«هل هذا ما اوصى الطبيب بأن تقدميه؟»

اشارت كارول الى ملاحظة ملقاة على المنضدة.

«انظر بنفسك.»

القى نظرة فاحصة على قطعة الورق، وقال:«لدينا شيء تأكله، هل تتوفر عندك كمية من هذا الطعام؟» سألها وهو يشير الى العلبة.

اجابت:«الكثير منه، اني اطهو واخبز باستمرار، واحب ان اكون مجهزة بكل المواد الضرورية.» ولم تستطع لجم نفسها من النظر اليه والابتسام. رد مارك على ابتسامتها بابتسامة منه، وقد لف ذراعيه إلى بعضهما. سألته ضاحكة:«هل انت غير واثق من طعام الطفلة هذا؟»

ارتسم تعبير وديع على وجهه وهو يراقبها وهي تضع كمية موزونة من الماء فوق الحليب الدسم، اجابها:

«ليس الامر على هذا الشكل، فقط... اريد ان تكون الطفلة بخير.»

وبطرف عينها، رأته كارول يحدق على الطاولة حيث تستلقي الطفلة، وهي نائمة على الحرامات المطوية. شيء ما بداخلها تحرك، عندما رأت تلك النظرة الحنونة ترتسم على وجهه.

«وانا اريدها ان تكون بخير. ان كان هذا ما يشعرك بأنك افضل حالا، فأنا لست بغبية، في الواقع، انا معلمة مثلك بالرغم من اني لا ادرس في الوقت الحاضر.»

فوجيء مارك باعترافها، اذ انه حكم على انها امرأة ثرية، ليس عليها ان تقوم بأي عمل.

«لما لا؟ اعني، لم انت لا تدرسين الآن؟»

بقيت عينا كارول مسمرتين على الحليب الذي تمزجه، وهي تجيب:«لقد قتل زوجي منذ سنة، وبقيت فترة حتى تمكنت من ان استجمع قواي... اردت العودة الى العمل، لكن في الوقت الذي عدت فيه كان الامر

متأخراً لاجد مركزاً شاغراً في التعليم في الصف الثانوي ما قبل الاخير. ربما في بداية السنة المدرسية المقبلة، قد يتوفر عمل لي.»

شعر وكأنه وضيع، لكن كيف كان عليه ان يعلم انها كانت متزوجة، او بالاحرى ان زوجها متوف.

«اني آسف. فقد كانت تلك فضولية مني.»

اخذت كارول تذكره بأن غداً يصادف بداية السنة الجديدة، وبأنها لن تسمح لذكرى غريغور بأن تنال منها ابداً.

«لا تعتذر، فأنت لم تكن تعرف زوجي السابق، علاوة على ذلك، فأصحابي يسألونني نفس السؤال، لما لا تعودين الى التدريس؟»

«وهل تزعجك اسئلتهم؟»

ابتسمت كارول ابتسامة باهتة وهي تنظر اليه. «لم تعد تزعجني، اني اتطلع للرجوع الى صف المدرسة.»

سألها:«هل غالباً تحدث العاصفة الجليدية هنا؟»

«لا تحدث تكراراً، لكن عادة نحصل على نصيبنا منها في كل شتاء.»

«هل تمازحينني؟»

ابتسمت كارول للتعبير المشمئز الذي علا وجهه، وقالت:«كلا، انه لامر عادي ان تبقى مسجونا هنا في الجبل بسبب الثلج، الجليد، او المطر المتجمد، خاصة في شهر يناير.»

«اني قادم من جنوب سان انطونيو، وليس عندنا طقس كهذا، في الحقيقة بينما كنت اتزحلق على حافة الجبل تساءلت ما الذي اتى بي الى هنا.»

سألته مستفهمة:«لمَ اتيت؟» صبت قسماً من الحليب المحضر في الزجاجَة، ووضعت ما تبقى منه في الثلاجة.

عاد مارك الى الطفلة، وعلى الرغم من انها كانت تبدو معافاة وطبيعية، كان هناك ما يحثه على ان يستمر في تفحصها، اجابها:«منذ وقت طويل طلب مني صديق ان احصل على هذه المهنة كخدمة اؤديها له، وبما اني كنت ابحث عن مدرسة، في مطلق الاحوال، قررت ان اقبل هذا المركز.»

حرصت كارول على ان تتأكد من انها اغلقت بإحكام غطاء الزجاجة قبل ان تسأله:«هل انت تقوم بالعمل الذي كان يقوم به؟»

«كلا، صديقي هو المدير، والمدرب الذي سأحل مكانه في العمل قد تعرض لحادث سيارة سيء وكسرت رجله، وسيكون في نقاهة حتى فصل الصيف.»

وضعت الزجاجة في الماء الساخن، بعد ذلك استدارت لتبقى مقابل مارك وهي تنتظر الزجاجة كي تسخن، ثم سألته:«اذن عملك هو مركز موقت، الى ان يستطيع المدرب المشي على قدميه؟»

اومأ مارك برأسه، وقال:«كلا، فهذه السنة هي آخر سنة متبقية له في العمل. سيتقاعد، لذا انا اشتريت المنزل، لا اريد ان ابدأ حياتي الجديدة مستأجراً.»

اطرقت مفكرة، انه يخطط للبقاء في المنطقة، فقد سرت بالخبر، بالرغم من عدم معرفتها السبب، وقد خالجها الشك بأن اماكن تواجدهما كجيران سوف تتزايد، حالما تحل مشكلة الطفلة وتتوقف العاصفة.

«لا بد انه كان صعباً عليك ان تنتقل الى هنا في مدة اشعار قصيرة.»
«ليس بالتأكيد، كان علي الانتقال بمفردي وبما اني لم اكن ادرس في الفصل السابق في سان انطونيو، فما كان علي ان اقلق حول إنذار او ما شابهه.»
تساءلت كارول... لو لم يكن يعمل في مجال التدريس، ما عساه كان فاعلاً؟ لكنها احتفظت بهذا السؤال لنفسها. فقد بدا انها تظهر اهتماما كبيرا بهذا الرجل.
امسكت الزجاجة وتحسست حرارة الحليب على الجزء الداخلي من ذراعها. «هل تريد ان تطعمها انت؟» سألته ذلك وهي تقدم له زجاجة الحليب.
رد عليها:«اعتقد انه يتوجب عليّ الانتظار لارى ان كانت تستطيع الامساك بها.»
رمقته كارول بنظرة طويلة حادة. «لو اني ارغب في ان اكون خبيثة، لكن ذكرتك كيف كنت تصرخ باستمرار بأن علينا اطعامها. ولكن كوني لست من ذلك الصنف، فسوف اسكت.»
منذ ساعة ونصف لم يكن مارك قد التقى بهذه المرأة... لما بدأ يشعر الآن وكأنه يعرفها من قبل؟ كما كان يعلم انها تعمل على ازعاجه عن قصد اكثر من ان تسخر منه؟ لم يجد مبرراً لهذه الاسئلة، لكنه عرف امراً هو ان ذلك الوميض العابث في عينيها كان مثيراً للغاية.
اجابها على مهل:«يسرني انك لا تنتمين الى ذلك الصنف من الناس.»
خطت نحو الطفلة، ثم جلست على احدى كراسي

المطبخ ومن بعدها حضنت الطفلة بين ذراعيها واعطتها زجاجة الحليب.
بعد بضع محاولات فاشلة، استطاعت من ان تتدبر امر وضع الزجاجة في فمها، لكن سرعان ما رفضتها الطفلة وعلا صراخها.
التفتت كارول الى مارك، وسألته بخوف:«ماذا سنفعل لو انها لا تريد ان تأكل؟ ماذا سنفعل؟»
ان امتناع الطفلة عن اخذ الحليب اقلق مارك بقدر ما اقلق كارول، لكنه حاول الا يظهر لها ذلك. «لا ترتبكي، ستأكل فقط امنحيها دقيقة من الوقت.»
قامت كارول بالمحاولة مرة اخرى، لكن الطفلة لفظت الحليب وشرعت بالبكاء ثانية وبشكل جدي.
ارادت كارول ان تنفجر بالبكاء وتضم صراخها الى صراخ الطفلة. قالت بحزن:«انها ترفض اي محاولة.»
«هي تعرف انك قلقة وغاضبة، هل انت ترغبين في ان تأخذي طعامك مع شخص وهو يلوي يديك.»
حدقت كارول به، واجابت:«اني لا افعل ذلك، اني قلقة، وما من مرة في حياتي قمت بإرضاع طفلة! خذ اطعمها انت!» ثم وقفت وسلمت الطفلة الى مارك الذي فوراً صعق بتبادل الادوار بينهما.
واخذ يصرخ بها:«لم تريدين مني ان احاول؟ لا اعرف ماذا افعل!»
وضعت كاثرين يديها على كتفيه ثم دفعت به على الكرسي. «وانا لا اعرف، يمكنك ان تحاول.» بهذه الكلمات خاطبته، ثم ناولته الزجاجة.

حضن مارك الطفلة بحذر بين ذراعيه، واخذ يدندن لها برقة، بصوته العميق كلمات مشجعة.
اندهشت كارول كيف ان الطفلة بدأت تهدأ، فاغتنم مارك الفرصة في تلك اللحظة وقدم لها الزجاجة مجدداً، هذه المرة راحت الطفلة تتذوق الحليب وتلتهمه.
تنهد الاثنان تنهيدة ارتياح لان الطفلة كانت تبتلع الحليب الدافىء بنهم شديد.
اعلنت كارول:«اظن انها قد احبتك.»
ادرك مارك انها اتخذت مكاناً على مقربة من كتفه وكانت تحدق بالطفلة بين ذراعيه.
اجابها:«اخبرتك انها كانت جائعة.»
كانت تطغى على صوته الابح نغمة لبقة ومرحة، مما جعل كارول تميل برأسها لتنظر اليه. ثم ابتسم لها ابتسامة جعلتها تشعر بالفرح والدفء.
«ها قد استطعت ان تطعمها يا مارك، لا بد انها تحبك اكثر مني، او انك تملك تلك اللمسة الخاصة.» قالت ذلك وهي ترد له الابتسامة.
كانت كلماتها وابتسامتها تبعث فيه السرور بشكل واضح. قال لها:«ليس لي علم بذلك. اظن انها ستكون بخير، ما رأيك؟»
نظرت كارول الى الطفلة وتساءلت ما إذا كان الاحساس بالأبوة اوالامومة على هذا الشكل، انها لن تعرف جواباً لهذا السؤال، لكنها تعرف ان هناك صلة مع هذا الرجل تربطهما بالمخلوقة الصغيرة الجديدة. فكلاهما ارادا ان تكون في امان وان يكون هناك من

يحميها ويهتم بها، وحتى الآن فقد قاما بالعمل سوية ليمنحاها الكثير من هذه الاشياء قدر المستطاع وفي تلك الظروف.
«نعم، اعتقد انها بخير، فهي تلتهم الحليب بقوة، ويبدو انها تتنفس تنفساً طبيعياً، ولا تظهر عليها علامات حرارة او احتقان، كل ما استطيع قوله انك وصلت الى هذا البيت في الوقت المناسب.»
لم يكن مارك قادراً على التعبير عن نفسه، فقد كان يعتبر انه شاب طيب، وعلى الاقل، طيب الى حد ما. فهو يحب المسنين والاطفال، ويدفع فواتيره، ولا يطيق شخصاً لا يرأف بالحيوان.
التقت عيناها بعينيه، وشعر مارك بحركة غير مألوفة في مكان ما بداخله...
ادارت كارول نظرها بسرعة عن عينيه الدافئتين، وتطلعت نحو الطفلة التي مازالت بين ذراعيه.
كم مضى من وقت لم تنظر خلاله الى رجل وتحس بأنها امرأة؟ راحت تسأل نفسها. سنوات؟ اذن، لم يذكرها هذا الرجل، بأن اجيالاً مضت ولم يلامس قلبها رجل.
كانت تشعر بمراقبة مارك لها وهي تبتعد بخطواتها عنه وعن الطفلة باتجاه النوافذ التي كانت تؤلف حائطاً واحداً من جدران الغرفة.
ان تعرف ان عينيه مسمرتان عليها امر جعلها تحس بالدفء وبشيء غريب في داخلها، فقد كانت تحاول جاهدة تجاهل ذلك الشعور، عندما سمعت صوته يكلمها من الخلف.

«كيف يبدو الطقس في الخارج الآن؟»
ازاحت كارول الستارة عن النافذة، ونظرت الى العتمة الداكنة، وهي تجيب:«يبدو لي وكأن هناك مطر متجمد. في الحقيقة، الظلمة خانقة في هذا الجانب من المنزل.»
اجاب:«يا للهول، لن نستطيع الخروج من هنا حتى الربيع.»
دفعت مبالغته الشديدة الى ان تلتفت اليه وتقول:«انتم اهل تكساس تظنون انكم تتجهون شمالا إذا ما اجتزتم النهر الاحمر.»
لقد تمكن من ان يرى تلك الومضة تعود الى عينيها. وعرف انها تتعمد مضايقته من جديد، ما جعل مارك يتساءل ما إذا كان في شخصه شيء ما يدفعها على القيام بذلك. ام هل انها تقوم بمضايقة كل الرجال بكلماتها ونظراتها؟ كلا، كلا، لم يكن راغباً في التفكير على هذا النحو. لكنه توهم انه كان الشخص الوحيد الذي رأى تلك الابتسامة الغامضة على وجهها.
ثم عادت وقالت ثانية:«اظن ان الطقس يبدو سيئاً في هذه اللحظة، لكن ربما غداً، قد يتمكن جرافو الطرق من جرف كل هذا الجليد. وان لم نستطع النزول غدا بالسيارة فبالتأكيد اننا سنتمكن من ذلك في اليوم التالي.»
كان مارك يفكر برزمة اللحم التي وضعها على رف في ثلاجته، اذ كان ينوي شراء المزيد من البقول، لكنه كان قد انشغل بنقل الاثاث وصناديق الكرتون المملؤة

بالثياب وبقطع اخرى من الخردة التي جمعها على مر السنين. اما مهمة شراء البقالة فكانت قد تأجلت.
كان يراقب الطفلة فيما كان قياس الحليب يتلاشى ببطء في الزجاجة. «حسناً، اعتقد اني استطيع ان احيا على قلة الطعام ليومين.» قال ذلك، وترافق قوله بهزة ودية من احدى كتفيه، وتابع:«وبأي حال، فأنا لا اجيد الطبخ.»
تعلقت عينا كارول بالرجل، ولاحظت طول ساقيه، كان ينتعل جزمة كجزمة رعاة البقر، بنية اللون وذات كعب عال كالتي ينتعلها شقيقها جايمس، وفي وقت سابق لاحظت انه كان يتنقل بها بخفة، وبالكاد يسمع وقع اقدامه على ارض المطبخ وهو يتمشى حاضناً الطفلة بين ذراعيه.
سألته:«لا اعتقد انك تفكر في الذهاب الى بيتك؟»

www.liilas.com

الفصل الرابع

اخذ مارك يحدّقِ بها، وعلا وجهه تعبير انبهار، وسألها مستفهما:«عفوا؟» وإذ هي ادركت كم بدت متبلدة الذهن، غمر محياها لون قاتم.

«كنت اعني ان قشرة قاسية من الجليد تغطي الارض في الخارج، وستقوم بضرب من الجنون ان حاولت الرجوع الى منزلك، على الاقل، الليلة وفي اي حال، فأنت تقصد ترك الطفلة معي، اليس كذلك؟»

اجابها:«لم يكن لدي الوقت لافكر بذلك.» وتساءل كيف سيكون شعورها حيالهِ لو امضى الليلة عندها. قد تقضي خوفا وهي وجها لوجهٍ مع رجل غريب في منزلها. لقد أثار حذره فيها غضبا، ساورها الظن، لكنها لم تحتمل هذا الوضع، كانت على وشك التفكير بأنه رجل يهتم حقا بالناس الآخرين، ولم ترغب في ان تفكر مجددا ان حكمها كان خطأ.

قالت بحذر:«اعتقد انك مهتم لامر هذه الطفلة، وبدا عليك انك مهتم للغاية عندما وقفت على عتبة بابي.»

صدر منه صوت محبط، وهو يأخذ نفسا ليقول:«اني اهتم لامرها! كيف تشكين بذلك؟»

لاحظ مارك ان الطفلة اوقفت الرضاعة، فانتزع زجاجة الحليب الفارغة من فمها وأومأ لكارول بأن تقترب. قال لها:«انها بحاجة لان تتجشأ، انا لا اعرف كيف افعل ذلك، هل تعرفين؟»

عادت كارول ادراجها وقالت:«اظن ذلك.»

بحذر سلمها مارك الطفلة، فوضعتها كارول على كتفها وبدأت تربت على ظهرها.

مضت دقائق معدودة ولم تتفوه بأي شيء، وظن مارك انها كانت حانقة عليه، لكن ذلك لم يعجبه، ومهما يكن رأي كارول هايز به، فلم يكن يرغب بأن يبدو عديم الاحساس.

«انظري، يا كارول، اريد ان ابقى الليلة هنا لاتأكد من انك انت والطفلة بخير، اني فقط لم اعرف ما إذا كنت تريدينني ان افعل.»

حدقت به وكأنه مجنون او ما شابه. «أو تعتقد اني ارغب في ان اترك لوحدي هنا مع مولودة جديدة، ومن دون اي وسيلة للتنقل؟ انت اقرب جار لي، حتى وان وضعت رأسي خارج الباب وصرخت بأعلى صوتي، ستكون بعيداً جدا لتسمعني.» توقفت عن الكلام هنيهة تكفيها لتتابع:«حتى اننا لم نبلغ بعد السلطات المختصة بكل ما حصل.»

كان مارك مدركا لكل ذلك، لكنه في الحقيقة، كان يعي انه رجل وهي امرأة، وهي لا تعرفه كفاية لتشاطره منزلها. نظر اليها، وقال:«هذا بيتك، لم اكن اريد ان اخيفك بإلحاحي عليك بالبقاء هنا. فأنت لا تعرفينني، ومن الواضح انك هنا بمفردك.»

وفجأة استنتجت كارول ان مارك كان قلقاً من ان تكون لديها مخاوف ان بقيت لوحدها معه في المنزل، لكن الامر الذي لم يكن متوقعا، هو ان خوف كارول الوحيد كان من الا يبقى معها.

قالت مؤكدة له:«اظن انك ستوافق على اننا نمر في ظرف غير عادي، فلا تقلق حيال هذا الامر، اني اثق بك.»
بدا على وجهه الارتياح.«اني شاكر لك، اؤكد لك اني رجل نبيل اصيل من تكساس. وليس لديك داع بأن تقلقي.»
حينئذٍ اطلقت الطفلة صرخة قوية.«ان التجشؤ لا يليق بسيدةٍ مثلك.» قالت كارول ذلك وهي تبتسم للطفلة ثم خاطبت مارك:«لا اريدك ان تكون رجلا نبيلا، اريدك ان تكون صديقا لي، صديق استطيع ان اعتمد عليه عندما تستيقظ هذه الفتاة الصغيرة في الليل باكية.»
«هل ستستيقظ باكية؟ اعتقدت انها ستنام الآن من جديد.»
«اتوقع انها ستستيقظ، ولو لفترة قصيرة، ولكن اعرف جيدا ان الاطفال يستيقظون من وقت لآخر.» وعادت كارول لتسأله:«الم يكن في بيتكم طفل من قبل؟»
هز مارك رأسه مجيبا:«انا الولد الوحيد، سورتا.»
مسحت كارول الحليب عن زاويتي فم الطفلة بمنشفة، ثم حضنتها بين ذراعيها، وسألته:«ماذا تعني بـ سورتا؟» كانت تنظر الى الطفلة ولم تر الضحكة الخافتة المرتسمة على وجه مارك.
«لدي إخوة ليسوا بأشقاء واخوات غير شقيقات. دزينتان منهما في الحقيقة.»
بفضولية التفتت فيه، وسألته:«دزينتان؟»
«نعم، فقد انفصل والداي عندما كنت في العاشرة من عمري، وكلاهما تزوجا وكان لديهما اولاد.»
«آه... فهمت.»

اخذ مارك يحرك كتفيه، بينما كان يتساءل ما إذا كانت حقا قد فهمت، اذا كان يشك في الامر. فامرأة مثلها لم تكن لتعرف ما معنى ان يتنقل طفل من بيت الى آخر. فقد كبر وهو لا يدري الى اي بيت ينتمي. والآن، يتجنب الاحتكاك بالعائلتين على السواء، فكل من والدته ووالده يعيش مع شخص آخر، وكل واحد منهما لديه اولاده. مارك كان الولد الغريب المنبوذ.
«لدي شك، يا كارول، وهناك شيء يحدثني بأنك ترعرعت في منزل واحد مع والديك الحقيقيين.»
كانت كارول قد تفاجأت بتخمينه، مندهشة من انها قد اثارت انتباهه الى هذا الحد بالدرجة الاولى، ومتفاجئة حيث انه قام باستنتاج صائب.
«نعم، الامر كذلك. ترعرعت في مزرعة تقع على بعد اكثر من ميلين من هنا، وانا سعيدة بالقول ان والديّ لا يزالان معا وبعافية، ومازال يجمعهما الحب.»
اجابها:«انت محظوظة.»
لم تستطع كارول التحديد بالضبط ما اذا كانت تسمع رنةٍ حزن او سخرية في صوته، قد يكون القليل من الاثنين معا. فقالت:«نعم، اظن اني محظوظة.» ثم نظرت الى الوجه الطفولي الحلو الذي كان يضغط على صدرها. وتابعت:«اتمنى ان نستطيع قول الشيء نفسه لهذه الطفلة البريئة، ماذا سيمكنها القول عن طفولتها عندما تصبح في مثل عمري وتعود بذاكرتها الى الخلف!»
بسرعة تحولت تعابير وجهه فأصبحت متجهمة، حين قال:«لا يسعنا التنبوء على اي حال، كيف سيكون

www.liilas.com

مستقبلها، لكنني اعرف شيئاً واحداً، وهو اني سأعمل على ان اتأكد من ان الاشخاص الذين رموا بها على عتبة منزلي سوف لن يحصلوا ابدا عليها!»

تفاجأت كارول بالعنف الذي ابداه مارك، بالرغم من انه كان عليها ان تتوقع ذلك. وبعد تفكير منها رأت ان مارك ستيوارت، على ما يبدو، رجل يملك افكارا متطرفة عن الحق والباطل، تماما مثل شقيقها.

«اني موافقة، فمن الواضح ان اهلها لم يرغبوا في الاحتفاظ بها، وهي تستحق من يحبها تماما كأي طفل في هذ العالم يستحق بأن يكون محبوبا.»

احست كارول بألم خفي في صدرها، اجبرها على ان تنحني وتقبل خد الطفلة الطري.

وهي تنظر الى اعلى، لاحظت كارول مارك وهو يراقبها، وقد امتلأت عيناه بشيء يذكرها بأن كلاهما رجل وامرأة، ولا يوجد احد سواهما.

اخذت نفسا طويلا، ثم اخرجت الهواء من فمها على مهل قبل ان تتكلم. «تبدو الطفلة تغط في نوم عميق الآن. سأنقلها الى غرفة الجلوس، فقد تكون النار المشتعلة في الموقد قد اضفت على الغرفة جوا لطيفا ودافئا الآن، وعلينا ان نرى كيف سنتصل بالشريف.»

بسرعة نهض مارك على قدميه وهو يقول: «هل تريدينني ان انقلها، ام تستطيعين انت القيام بذلك؟»

ابتسمت تقديرا لخدمته. واجابت: «يمكنني تدبر امرها اذا ما حملت لي تلك البطانيات.» قالت ذلك وهي تومىء برأسها نحو كدسة مكومة على الطاولة.

تلمس مارك البطانيات، وهو يظن انه لم يتبق له من شيء ليفعله سوى ان يقضي ليلته في المنزل.

ابتسم ابتسامة المراوغ وهو يتبع كارول الى خارج المطبخ. حسنا، يا مارك، راح يسائل نفسه، كم هو سيء ان تمضي ليلة العيد مع امرأة جميلة ومولودة جديدة؟

«يا له من شعور مدهش.» قال مارك ذلك، عندما دخل الثلاثة الى غرفة الجلوس، وتابع: «اثناء صعودي الى منزلك، لم اكن اتصور اني سأنعم بالدفء ثانية.»

اما الدار حيث يطيب الجلوس فيه امام الموقد، فقد تألف من اريكة مخططة، وعلى جانبيها كرسيان محشوتان بحشوة زائدة. وها هي النار الآن تشتعل في الموقد، وتملأ الغرفة حرارة بهيجة، وضعت كارول الطفلة على طرف الاريكة وغطتها ببطانية خفيفة.

وفيما هي تبتعد عن الطفلة رأت مارك واقفا امام الموقد، معرضا ظهره للنار، وكان يداعب بأصابعه خصلات شعره المتموجة وكأنه يطرد التعب.

الآن وقد حصلت الطفلة على ما يلزمها من عناية، اصبح لدى كارول متسع من الوقت للتفكير. كانت تشرع في تصور ما عاناه مارك ستيوارت اثناء هذه الامسية، وكان عليها الاعتراف بأنها اعجبت بالرجل للجهود التي بذلها، لا شك ان ايجاده للطفلة كان بمثابة صدمة له. واطرقت تفكر، كونه كان عليه ان يحملها وهو يتسلق جبلا منزلقا، وتحت الامطار المتجمدة، لم يكن الامر بالنسبة إليه بمثابة رحلة ممتعة قام بها.

«لا بد انك مرهق، لم لا تجلس وتستريح في حين اقوم

انا بطلب دائرة الشرطة!» هذا ما اقترحته عليه وهي تتقدم نحو الهاتف.
جلس على الكنبة وقال:«انت على حق، اني متعب، في الخارج يبدو الجبل مغطى بقشرة من الجليد. مقابل كل قدم خطوته صعوداً، كنت انزلق الى الخلف قدمين.»
سألته:«لست قادرة ان اتخيل كيف صعدت الجبل والطفلة بين ذراعيك.»
«حسناً، ان ذلك لم يكن اكثر سوءاً من محاولتي في اجتياز الطريق العام بشاحنتي.»
كانت كارول على وشك الامساك بالهاتف، لكن ملاحظاته جعلت يدها تتوقف عن الحركة، وسألته:«انك لم تحاول، هل قمت بذلك؟»
وبعبوس هز رأسه ايجاباً وقال:«الآن وقد هدأت كفاية حيث يمكنني ان افكر، ارى اني كنت مجنوناً اذ حاولت قيادة الشاحنة في مثل هذا الطقس، فقد كنت على وشك الانزلاق عن حافة الجبل.»
ان فكرة تدهوره مع الطفلة الى الوهد المعتم البارد جعلتها ترتعد خوفاً. «حسناً، من حسن الحظ انك لم تنزلق.»
لقد شعر بأنه احمق على الرغم من انه يملك سبباً حقيقياً لذلك. ثم قال:«كان عليّ ان احشر سيارتي في الخندق. آمل فقط ان تبقى هناك حتى يوم غد، او الى حين استطيع اخراجها من الخندق.»
«في حال تمكن عمال الطرق من الوصول الى المكان الليلة فقد يدفعون بها الى الخارج. لو كنت مكانك لما قلقت بشأنها.» قالت ذلك وهي ترفع السماعة الى

اذنها. ثم تابعت:«ان مسألة السيارات التي يتركها اصحابها شيء عادي جداً هنا في فصل الشتاء.»
مدت كارول يدها لتضغط على رقم الطوارىء في دائرة الشرطة، ثم توقفت إذ لاحظت ان خط الهاتف معطل.
ثم سألت بصوت عال:«ما بال هذا الهاتف؟» وهي تضع السماعة ثم ترفعها.
«حاولي الاتصال بموظفة الهاتف.» اقترح مارك ذلك، حين وجد ان الحظ لم يحالفها.
حاولت كاثرين الاتصال بموظفة الهاتف، لكن دون جدوى فتأوهت قائلة:«آه، ماذا نفعل الآن؟ لا نستطيع ابلاغ السلطات المختصة عما حصل من دون هاتف!»
اشار مارك اليها بيده محاولاً تهدئتها. «لا تغضبي، قد يعود الخط ليعمل من جديد في وقت قصير.»
«وفي حال لم يعمل؟ ماذا سيحصل لو ان الشريف ظن اننا قد خطفناها او سرقناها؟ ماذا لو ظنوا اننا تهربنا من الاتصال بهم، وقد يوجهون الينا تهمة بعد الابلاغ عن جريمة! آه... يا مارك.»
ولدى رؤيته كارول ترتعد من الوضع الذي وصلا إليه، مضى مارك إليها، وقال:«ان نخلط بين الاشياء، امر لن يفيدنا بشيء.» امسك يدها بيده، فوجد اصابعها باردة وقد تجمدت، راح يفرك اصابعها بأصابعه الدافئة، وهو يقول:«لن يتهمنا احد بشيء. هيا... تناسي الامر... سنحاول مجدداً بعد قليل.»
تنهدت كارول بحزن، وهو يقودها الى الكنبة ويقول:«اعرف انك قد تكونين على صواب، اظن... لا

اعلم، الآن، لقد ولى امر الاهتمام الطارىء بالطفلة، والآن بدأت اشعر بالصدمة التي تسببها كل ذلك.»
جلس مارك بجانبها على الكنبة الطويلة، وتابع:«صدقيني، اعرف ما تقولينه، كان ينتابني نفس الشعور عندما أدخلتني مع الطفلة الى منزلك.» ابتسم لها ابتسامة اعتذار:«اعرف اني قد بدوت قويا بعض الشيء، لكنني عادة لست كذلك.»
لمرتين متتاليتين كانت كارول ترغب في صفع مارك على وجهه. لكن الآن وقد مرت الكارثة الاساسية، علمت انه كان يتصرف دون اكتراث بالطفلة، ثم ردت عليه قائلة:«وانا لست عادة قوية.» ثم لاحظت انه مازال يمسك بيدها، فما كان منها الا ان دفعت يده بلطف، وتابعت:«إذن انت قد صدر السماح عنك... وهل صدر عني؟»
تمنى لو انها لم تسحب يدها، فقد احب ملمسها... وبشرتها الناعمة واصابعها الطويلة الطرية التي كانت تطبق على إصابعه.
ثم قال مؤكدا لها:«ليس هناك من شيء لنسامح من اجله.»
«حسنا، والآن بما ان الطفلة قد شربت حليبها، يجب ان نأكل نحن. قبل مجيئك كنت احضر وجبة خفيفة، هل تناولت شيئا من الطعام هذا المساء؟»
عندما سألته، نظر بارتياح. ما جعلها غير قادرة على لجم نفسها من الضحك.
وقال معترفا:«لكي اكون صادقاً معك، اني اتضور جوعا، لم اذق الطعام منذ صباح هذا اليوم.»
وبخته قائلة:«كان عليك قول شيء من هذا النوع من

وقت سابق.» وكانت ابتسامة على وجهها قد خففت من حدة صوتها.
هز كتفيه وكأن راحته الجسدية لم تكن بالنسبة اليه ذات اهمية كبيرة، وقال:«حتى اني لم الحظ اني جائع حتى الآن، كانت الطفلة كل ما افكر به.»
«وانا ايضا، لكنها نائمة الآن بسلام، إذن لم لا تتمدد على الكنبة بجانبها، وسأذهب لتحضير اي شيء نأكله نحن الاثنان.»
كان مارك يراقب كارول وهي تغادر الغرفة، بدا وكأن تلك المرأة قد خدرته بجاذبية خاصة بها، ففعل ما اوصته به وتمدد على الكنبة، لكنه كان حذراً، فأبعد جزمته عن الوسائد.
راح مارك يخاطب نفسه بأنه لم يكن مخدراً، وهو يغير وضع رجليه ليحس براحة اكبر، لقد كان متعباً فحسب، واحداث الساعتين الماضيتين تركته مضطربا. علاوة على ذلك، فانه لم يكن حدثا طبيعيا، ان يجد طفلة على عتبة بابه. كما انه لم يكن امرا عاديا بالنسبة لامرأة، ان يندفع الى بيتها رجل وعلى ذراعيه مولودة جديدة. لذا لم يكن امرا عجيبا ان يكون كل منهما مضطربا.
حملته افكاره على النظر الى طرف الكنبة حيث ترقد الطفلة فوجد وجهها محمرا ومنتفخا، وانفها افطس، وفمها قد تغضن وبدا كقوس صغير. ولما تطلع مارك فيها، تخيلها كتلميذة محببة في الصف الرابع الابتدائي، منمشة الوجه، وشابة جميلة في لباس لحفلة راقصة.
واطرق يفكر، انه لامر غريب، اذ انه لم يشعر ابدا

بصلة تربطه بأشقائه وشقيقاته كارتباطه بهذه الطفلة التي رآها فقط منذ ساعات.
ربما عليه ان يشعر بعقدة الذنب حيال ذلك الامر، لكن هذا الشعور لم يخالجه، فهذه الطفلة من دون والدين او مأوى. اما اشقاؤه، وشقيقاته، فمثل هذا الشيء متوفر لهم.
وهو متكيءٍ برأسه على الكنبة، اغمض عينيه، واخذ نفساً عميقاً، كارولِ ريغن هايزِ، وفجأة مر هذا الاسم في مخيلته، حاملاً معه صوراً عاصفة عن تلك المرأة التي لم يكن يتوقع ان يراها على الشكل التي بدت عليه عندما استقبلته مع الطفلة عند الباب الامامي لمنزلها.
توقع مارك ان يرى امرأة باردة، لائقة، وعلى الارجح، اكثر من عاجزة، وحتى الآن، فقد اثبتت انها ليست على هذا النحو. وعليه ان يعترف بأنها قد اسرت لبه، ومن هم مثل مارك، عادة، لا يمكن لامرأة ان تأسرهم، فقد كان يحب صحبة النساء، لكنه لم يكن من نوع الرجال الذين يديرون رأسهم مرتين لامرأة. فهو يعتبر ان الحب والزواج من نصيب شبان آخرين ولا يحبذ اولئك الرجال الذين يرغبون بمنزل يستقرون فيه مع عائلة كبيرة. لم يكن ذلك النمط من العيش يروق لمارك ستيوارت. فقد شاهد ما كان يجري في ذلك البيت العائلي. اما فيما يتعلق به، فقد يمكنه العيش خارج هذا الإطار.

الفصل الخامس

«آمل الا تمانع في ان اقدم بعض بقايا مما لدي من طعام.»
فتح مارك عينيه فوجد كارول قد عادت، وكانت تضع صينية الطعام امامه، على طاولة القهوة الصغيرة. آنذاك، لم يكن يدرك ما الذي يعذبه اكثر، رائحة خفيفة لعطر ياسمين منبعث منها، ام رائحة يخنة العجل الساخنة.. خاطبها، وهو ينهض:«اني مستعد لتناول اي شيء شبيه بالطعام.»
ناولته فوطة وملعقة. وسألته:«هل تأخذ قهوة؟ ام انك تفضل شرابا آخر؟ عصير خفيف؟»
لاحظ مارك انها ارادت ان يتناول طعامه حيث كان يجلس، تطلع بريبة الى الاريكة التي تلونت بلون البيج والابيض وبالسجادة تحت جزمته التي كانت من اللون نفسه.
وقال:«لا بأس بالقهوة، لكن ان اتناول الطعام على هذه الاريكة، امر قد لا يكون مناسبا.»
شرعت كاثرين تسكب كوبين من القهوة من إبريق، وهي تومىء برأسها إيماءة عنيدة، تنبئه تماما بمدى اهتمامها بأثاث المنزل ثم اوضحت له:«انه مكان لنسكن فيه، لا لننظر إليه.»
تقدمت نحوه وجلست الى جانبه. والآن وبما ان لا شيء يصرف انتباهه عنها، فقد وجد ان تلك المرأة قد

ذوبت احاسيسه، وفي الحقيقة جعلته يشعر بأنه شاب احمق وانفعالي.
خاطبته كارول قائلة:«اخبرني، اذن، كيف تمضي عادة ليلة العيد؟»
ضحك في قرارة نفسه ضحكة ساخرة، وهو يغمس ملعقته في الطعام واجاب:«حسنا، عادة امضيها في البحث عن اطفال تخلى عنهم آباؤهم.»
تناولت كارول لقمة من الطعام، ثم راحت تمضغها وهي مطرقة في التفكير قبل ان تقول:«قبل مجيئك كنت في الحقيقة اشعر بأسى على نفسي، فالليلة تقيم عائلتي حفلة خاصة، خطوبة شقيقي نيكولاس، وشقيقي جايمس وصل الى منزله من شهر العسل هذا الصباح.»
«إذن، لقد كانوا يتوقعون قدومك. هل تعتقدين انهم قلقون عليك لانك لم تذهبي؟»
هزت كارول رأسها نفياً، واجابت:«تحدثت مع نيك قبل قدومك بوقت قصير. فأمرني بألا احاول النزول من الجبل في سيارتي. وعندما يفرض ستيفن اوامره، اعني انه يفرضها... فهو رقيب مدرب، هل فهمت، لكنه وعدني بأن يعيد الاتصال.»
اجابها قائلا:«هل سيتصل والهاتف معطل، لا يبدو انه سيتصل بك الآن.»
هزت كارول كتفيها بشكل ودود، وقالت:«على اي حال فقد يكون قد نسي كل شيء عن الموضوع. فهو الآن مغرم، وعاطفي الى اقصى حد. هل فهمت ما اعنيه؟»
كلا، لم يكن يفهم ما كانت تعنيه، لانه لم يقع في الحب

ابداً، كان يحس بالامتنان من وقت لآخر، لكنه لم يغرم.
اجابها قائلا:«الحب قد عم عائلتك.»
ابتسمت كارول، وردت قائلة:«اخي جايمس يكبرني بقليل وهو متزوج، وستيفن يصغرني بسنتين، لكني لم اكن اتصور انه سيستقر في حياته ابداً، في الواقع لقد سئمت منهما، يمكنني ان اقول شيئاً واحداً، وهو ان فرص الاعياد كانت مضجرة هذه السنة.»
لم يكن يعطي مارك يوم العيد اهتماماً كبيراً، فقد امضى النهار لوحده يراقب لعبة كرة القدم على شاشة التلفاز. كما مر ايضاً من دون ان يحمل اي حدث يذكر، إذ معظم اصدقائه كانوا آنذاك في تكساس، وكان يرفض زيارة كل من عائلتيه، فلكل من هاتين العائلتين اولادها وبوتقة من الاصحاب تحتفل معها في فرص الاعياد. كان مارك يفضل ان يبقى وحيداً على ان يختلط بهم، ويشعر بأنه غريب.
اجاب مارك:«عليّ ان اعترف ان هذا الحدث يأتي في قمة الاهمية بالنسبة لما حصل لي خلال السنة.»
«ظننت اني سأمضي ليلة هادئة بمفردي، سوف لن تصدق عائلتي هذا الامر!»
كانت توجد انواع من الجبنة والبسكويت المملح على الصينية امامه، انحنى مارك واختار قطعة سميكة.
«هل يمضي اهلك ليلة العيد، كما تمضينها انت؟»
وعندما لم تجب على الفور التفت مارك اليها فوجد ضحكتها الناعمة تتلاشى عن وجهها ليحل مكانها ظل من الحزن.

فوجىء مارك لرؤيتها حزينة وتساءل ما إذا كانت لا تزال حزينة لوفاة زوجها.
«لكي اصدقك القول، لقد مرت ليلة العيد السنة الماضية، وكنت خلالها مشوشة الافكار... حسناً، مضى وقت طويل قبل ان استطيع المجازفة بالخروج من المنزل.» وحاولت ان تتجنب النظر اليه وهي تغمس ملعقتها في الطعام.
وتابعت:«لكن خلال السنوات الماضية كنت اقضي بعض الاعياد مع اهلي، وبعضها الآخر في حفلات كان يقيمها زملاء زوجي في العمل.»
«وما كان نوع عمله؟»
ما ان انتهى من طرح سؤاله، ادرك انه كان عليه الا يطرح مثل هذا السؤال، ولم يكن يعرف ما الذي دفعه الى ذلك، باستثناء انه كان يرغب في ان يتعرف اكثر على هذه المرأة، وطرح الاسئلة كان اسهل طريقة للمعرفة.
ثم قال على عجل:«آسف يا كارول، ليس عليك ان تجيبي، اني اتدخل في اشياء لا تعنيني الليلة.»
قالت كارول وهي تتناول فنجان قهوتها:«لا تعتذر فأنا قد سألتك بدوري اسئلة شخصية.» اطرق يفكر... كان لديها اسبابها لتسأل، فهي امرأة وحيدة وتسكن في منطقة معزولة، ومن الطبيعي انها ارادت معرفة شيء ما عن الرجل الذي اذنت له بالدخول الى منزلها، اما فيما يتعلق به فقد استطاع ان يفسر اهتمامه بها على انه انانية بحتة.
تساءلت كارول وهي تحدق به ان كان لديه فكرة عن

تلك العواطف التي حركها في داخلها. واحد دواعي. تشوقها لهذه الليلة هو انها كانت ستمضيها مع عائلتها، وهذا امر يحصل لاول مرة منذ وقت طويل، وليس مع زملاء غريغور في العمل، لم تعد مضطرة ان تتحمل تيههم وتباهيهم، ولن يكون هناك بعد الآن غرف ملأى بدخان التبغ، لا موسيقى صاخبة وضحك اجش، كلا لن يفهم هذا الرجل ايا من هذه الاشياء.
«كان غريغور يعمل في مجال التنقيب عن الغاز والنفط.»
«منقب عن النفط؟»
اومأت برأسها، واجابت:«كلا في الحقيقة كان جيولوجيا، لكن انتهى به الامر ليكون مديراً في مهنته اكثر من مكتشف في مجال عمله.»
لاح على وجهه تعبير شارد، اخذ مارك رشفة من قهوته، ثم قال:«لا بد انه كان شاباً ذكياً.»
«نعم، كان غريغور مثقفاً جداً، كان ملماً بكل شيء يتعلق بالجيوكيمياء.»
شيء ما في صوتها، ترك انطباعاً لدى مارك بأن ما كانت تقوله شيء، وما تشعر به شيء آخر، وخطر بباله انها قد لا تكون راغبة في التحدث عن زوجها السابق. في اي من الحالتين، فقد حسم مارك امره واكتفى بما سألها من اسئلة في الوقت الحاضر، ثم عاد وصب اهتمامه على القهوة.
«انا نفسي ما كنت لابرع كعالم، لكن اعطني كتاب تاريخ وستجدين ان الامر سيثيرني.»

رمق مارك كارول بنظرة موبخة، وتابع:«لا تقولي لي انك واحدة من اولئك الاشخاص الذين يظنون ان امور الماضي لا علاقة لها بالمستقبل، لا تخيبي املي يا كارول.»
ابتسمت له ابتسامة مراوغة واجابته:«كلا لست من اولئك الناس، في الحقيقة انا احب التاريخ، وبالاخص تاريخ اميركا القديم. لكن لا يمكنني رؤية رجل مثلك يستمتع به.»
تساءل مارك عما تريده ان يستمتع به، فسألها:«ما الذي برأيك يسعدني.»
تورد وجه كارول خجلاً لسؤاله. واجابته:«لا شيء طبعاً كنت اعني فقط انك تبدو كرجل يستهويه البقاء في الخارج.»
اتكأ مارك على الكنبة، ليأخذ قسطاً من الراحة، وكان دفء منبعث من الموقد يلفح جسمه، فتسترخي عضلاته وتذبل عيناه، ثم خاطبها قائلاً:«انا رجل احب البرية والهواء الطلق، فأنا اقوم بتدريب البايسبول.»
رمقته بعينيها رمقة خاطفة احاطت بشعره الاسود، ورموشه الكثيفة الداكنة اللون، وظلاً خفيفاً للحية بدأت تظهر على بشرته السمراء.
«هل كنت دائما تحب لعبة البايسبول؟»
اجابها بعد ان اخذ رشفة من القهوة:«منذ ان اصبحت يافعاً قادراً على وضع قفاز بيدي.»
«هل حاولت اللعب من باب الاحتراف؟»
كان يضحك ببطء وهو يحدق بها، اجابها:«قصدت

جامعة في أوستن، بمنحة خصصت لهذه اللعبة، ثم استمريت باللعب لصالح فريق اتحاد ثانوي.»
لاحظت ان مارك ستيوارت يكن لهذه اللعبة اكثر من حب. وكان ناجحاً جدا بممارستها، بقيت عيناها تتفحصان وجهه، وهي تسأله:«ماذا حدث؟ توقفت عن اللعب؟»
لاحظت كارول ان ابتسامته بدأت تفتر، حين اجاب:«انه الشيء الذي يحدث لكثير من اللاعبين، لقد تعرضت لإصابة في ركبتي. حتى بعد ان اجريت عملية لها، وبعد كل انواع العلاج فانها لم تتحمل الجهد الذي تتطلبه اللعبة، ما اجبرني على الاستقالة.»
انحنى الى الامام ليضع فنجان قهوته على المنضدة وتابع:«كل هذا قد اصبح من الماضي الآن.»
«لا بد ان ذلك كان بمثابة صدمة لك، فأنت مازلت شاباً، كان بإمكانك اللعب لسنوات اكثر بكثير، ولتمكنت من ان تصبح نولان ريان آخر.»
انطلقت من حنجرته ضحكة خافتة حملت كارول على العبوس بغضب. وسألته:«ما المضحك في ذلك؟»
«المضحك انك تقارنينني بأحد اعظم لاعبي البايسبول على الاطلاق.»
قالت وهي ترفع ذقنها:«حسناً في كل واحد منا يوجد شيء من العظمة. وكونك استاذ عليك ان تدرك ذلك الامر وتغرسه في نفوس تلاميذك.»
ضحك مارك ضحكة عالية، وقال:«كنت اضحك يا كارول، لانني خلال لعبي كنت انا من يلتقط الطابة.»

ضحكت بدورها وقالت:«إذن هو يرمي الطابة وانت تلتقطها. كنت ببساطة احاول ان اقول لك انك لكنت اصبحت شهيرا لو انك استمريت في اللعب.»

«ربما احب ان افكر على هذا النحو.»

«هل كان امرا صعبا عليك ان تعتزل اللعب؟» سألته وهي تراقبه عن كثب.

«قد اكون كاذبا لو قلت اني لم اكن تائها بعض الشيء في البداية. لكنني لطالما خططت لان اكون مدرسا في يوم من الايام، وهكذا عدت الى الجامعة لانهي دراستي واحوز على درجة جامعية في التعليم، ويمكنني القول بصدق بأني فخور بها قدر ما كنت فخورا بمهنة البايسبول.»

«كان والدي دائما يقول، ان يكون المرء ناجحا امر ليس فيه من المتعة شيء، ما لم يختبر بعض الفشل وهو في طريقه الى ذلك النجاح.»

«يبدو والدك كفيلسوف.»

كانت ابتسامة كارول مفعمة بالعاطفة، وهي تتكلم عن والدها:«في شخص والدي القليل من كل شيء.» انها معجبة بوالدها، استطاع مارك ان يلاحظ ذلك على وجهها، وتمنى لو ان بإمكانه التحدث عن والده، وان يظهر نفس تعبير الحب والاعجاب على وجهه.

لكن ذلك امر لم يكن ممكنا، وكان يعلم ذلك، في بعض الاحيان كان مارك يشعر بعقدة ذنب حيال هذا الموضوع.

«حسنا، اما فيما يتعلق بلعبة البايسبول، فأنا ادرب

شباناً في ريعان عمرهم، كي يصبحوا متمرسين باللعبة لشيء يسرني.»

خاطبته:«اني آسفة لانك اعتزلت مهنتك، لكنني مسرورة لانك تهوى التعليم، انه لشيء مهم تقوم به.»

«شكرا على ذلك يا كارول، ولانك قلت لي بأني لكنت اصبحت عظيما.»

راحت كارول تخاطب نفسها، لقد كان شكره لي عاديا، ولكن لما احست وكأنه مد يده ولمسها؟ ولما شعرت وكأن حجم الغرفة يصغر، ومارك ستيوارت على قيد انمله منها؟

وبشعور منها بالاسى، لانها ستضطر ان تقطع حبل افكارها، هبت من مكانها وبدأت تجمع الصحون القذرة، وهي تقول:«سأعيد هذه الصحون الى المطبخ.»

كان مارك يراقبها بتمعن وهي تغادر الغرفة، هل كان يتصور ذلك، ام ان شعورها برد فجأة تجاهه؟ لم يستطع التفكير بما قاله لها لتنزعج. فقد كانا يتحدثان عن لعبة البايسبول، ام ماذا؟

تأمل شعرها الطويل الاسود وبشرتها البيضاء العاجية اللون. لم يكن بالامر العجيب انه استطاع تذكر جزء بسيط فقط، من الحديث الذي دار بينهما. بازدراء وسخط، نهض مارك من مكانه وتقدم ليقف امام الموقد، وفي الوقت نفسه لاحظ هاتفا وضع على طاولة زجاجية بالقرب من كرسي، واحس بأن الخط مقطوع قبل ان يهم بوضع السماعة على اذنه، وهو امر لم يفاجئه. لم يكن يتصور ان احدهم كان قادرا

على اصلاح خط الهاتف في طقس رديء مثل هذا.
بعد ان وضع السماعة في مكانها، راح يتمشى في الغرفة الى ان اجتذبه منظر الطفلة التي تمددت على الكنبة، فانحنى ينظر اليها عن قرب.
كان لايزال صعباً على مارك ليصدق انه وجد الطفلة مرمية على عتبة منزله. وبأن شخصاً ما قد قصد وضعها هناك ليعثر هو عليها. لم يستطع تصديق ذلك الامر، ومن المؤكد ان من ترك الطفلة هناك، لم يكن يعرف مارك، والا لكان عرف انه لا يملك مقومات الوالد.
كأن الطفلة علمت بما كان يجول بفكره، فأخذت تتلوى وتقطب جبينها وعلى الفور مد مارك يده واخذ يربت على رأسها، وبعد هنيهة بدأت تحرك شفتيها وكأنها جائعة. ابتسم مارك عندما تذكر كيف انها كانت تلتهم الحليب المكثف، فمشاهدته للطفلة قد منحته شعوراً بالراحة والسرور، وهو شعور قد فاجأه للغاية، فهو لم يكن يحب ان يرى طفلاً يتعذب، لكنه لاحظ ان هذه الطفلة قد تسللت الى قلبه بالفعل.
وبالعودة الى المطبخ، فقد تأكدت كارول من انها استطاعت ضبط نفسها. وبينما هي تغسل الصحون المتسخة، كانت تحاول اقناع نفسها بأن مارك ستيوارت رجلاً لا يختلف عن غيره من الرجال فتنة ووسامة. لكن ذلك لم يكن يعني لها شيئاً، وعلاوة على ذلك، فأي رجل عادي قد يبدي اهتمامه بطفلة عاجزة، فهو لم يكن بطلاً او مميزاً. كان رجلاً فحسب، يقوم بما يقوم به رجل في ظروف كهذه، لم يكن هناك

من سبب على الاطلاق لتشعر بأنها منجذبة إليه.
تلاشت تلك الفكرة من رأس كارول في اللحظة التي دخلت فيها الى غرفة الجلوس حيث كان مارك جالساً الى جانب الطفلة يسرح شعرها بلطف بأنامله. ومهما يكن من أمر المحاضرة التي كانت قد ألقتها على نفسها، فقد رق قلبها عندما شاهدت نظرة الخوف والحنان على وجهه.
قالت بمرح وهي تدخل الغرفة:«أمل انك تحب كعكة الحلوى بالشوكولا وعلى الطريقة الالمانية.»
لدى سماع صوتها، التفت مارك ليرى انها قد عادت، وفي هذه المرة، كانت تحمل صينية عليها كعكة الحلوى وصحنين.
قال معترفاً:«احب الحلوى بشكل غير معقول، وبالاخص الشوكولا بأنواعه.» قال ذلك وهو يراقبها وهي تجلس على الارض الى جانب طاولة القهوة.
احست كارول ان عينيه تراقبانها، فارتعشت يداها وبح صوتها وهي تتكلم:«هل تبدو الطفلة على ما يرام؟»
رد قائلاً:«على حد علمي نعم.» وهو يبتعد عن الاريكة ليعود الى الموقد، فقد كان يحس باضطراب، وهي حالة لم يألفها مارك، فهو شخص يتأقلم عادة مع اي ظرف، لكن كان هناك امر غريب حول السكون الذي يلف هذا البيت، وحول المرأة التي كانت جالسة على بضع خطوات منه وتثير اعصابه على مهل.
ثم خاطبها:«لقد جربت الهاتف، فهو لايزال معطلاً.»
نظرت اليه، وهي تومىء برأسها موافقة:«اعرف فقد

جربت هاتف المطبخ، هذا ما كنت اريد ان اخبرك به.»
قال:«علينا ان نقوم بالامر، دون هاتف.» واستدارت كارول الى الطاولة لتملأ فنجان مارك وفنجانها بالقهوة من جديد.
قالت له:«لو لم يكن الامر متعلقاً بالطفلة، لما كان همني كثيراً، ان عمل الهاتف او لم يعمل.»
«حسناً، اني لا احاول ان ابدو واثقاً من نفسي اكثر مما ينبغي، حاولت فقط ان اطمئنك.»
في تلك اللحظة لم تكن كارول واثقة تماماً على من هي بحاجة لتطمئن، على الطفلة ام على مارك ستيوارت.
لو كانت الطفلة بحاجة الى عناية تفوق العناية التي يوفرانها لها، لكان الهاتف قد ساعد كثيراً. وفي الحقيقة لو ان الهاتف كان يعمل، لتمكنت من الاهتمام بالطفلة او بنفسها من دون ان تلجأ الى مارك ستيوارت.
ولو انها كانت في بيت مارك الخاص، لما شعرت بتوتر مزعج، في كل مرة كان ينظر فيها اليها.
وبسرعة راحت تذكر نفسها، بأن الهاتف معطل، وبأنها بحاجة لمارك كي يبقى من اجله الطفلة، وهل حقا كانت تريده ان يرحل لو ان الهاتف كان يعمل؟
كان عليها الاعتراف بأنها اصبحت تحبه وتحب رفقته.
خاطبته متنهدة وهي تحمل صحن الحلوى:«اتمنى فقط لو اني استطيع ان اشعر بالهدوء مثلك حيال هذا الموضوع.»
اطرق مارك مفكراً، تعتقد كارول انه هادىء لا بد انه ممثل لانها كانت ترى انها في كل مرة تكون فيها على بعد

خمسة اقدام منه، كانت احاسيسه تتوتر بشكل واضح.
تناول صحن الحلوى من يدها، وسألها:«هل انت خبزت هذه الحلوى؟»
«اجل، خبزته هذا الصباح خصيصاً لحفلة الليلة.»
«شقيقاك على الارجح، سيفوتان هذه الحلوى.»
حرص على ان يحول نظره عنها، وهو يرفع قطعة الى فمه.
ضحكت كارول بلطف وهي تعود لتجلس على الارض، وتقول:«لو انت تعرفت بوالدتي، لكنت وجدت المكان مليئاً بالطعام، الى جانب ذلك، فأنا في الحقيقة اشك في ان شقيقي ينشغل تفكيرهما بالطعام الليلة.
«قلت ان ستيفن نقيب، ماذا يفعل شقيقك الآخر؟»
«انه مزارع، في الحقيقة الآن وقد تقاعد والدي، استلم جايمس امر المزرعة.»
«على ما يظهر، إن شقيقيك رجلان ذكيان وطموحان.»
«ووسيمان ايضا، كي اكون صادقة معك، لا اعلم كيف ان كليهما بقيا عازبين لمدة طويلة.»
لم يكن مارك يعرف كم يبلغ شقيقاها من العمر، لكن حتى الآن فقد وجد ان من السهل عليه ان يبقى بعيداً عن التدخل فيما لا يعنيه.
سألها:«كيف كانا يتدبران امرهما؟»
ارجعت كارول شعرها الطويل الى الخلف وهي تفكر بالسؤال، ثم قالت:«في الحقيقة بقيت حبيبة جايمس لسنوات اربعة في افريقيا. لقد كانت عاملة اجتماعية في اثيوبيا، وهذه قصة كاملة بحد ذاتها. وعندما

عادت الى موطنها هذه السنة، عملت مع جايمس على تسوية خلافاتهما، وادركا انهما يحبان بعضهما حبا جنونيا.» ابتسمت للذكرى، ثم التفتت لترى ان مارك كان يتقصد مراقبتها. وشعرت ان وجهها قد تورد خجلاً مثل مراهقة ساذجة.

«اما بالنسبة لستيفن.» تابعت قولها، وهي تحاول جهدها الا تبدو متأثرة بهذا الرجل وبعينيه الرماديتين الباردتين.

«لا يزال الامر صعباً بالنسبة لي كي اصدق انه تقدم للخطبة، فلطالما احب النساء مثلما يحب ان يملي الاوامر. لكن...»

وهزت كتفيها وهي تبتسم ابتسامة مرارغة، غيرت ملامح وجهها:«يبدو ان ديانا قد غيرت كل ذلك. لم أره مطلقا مفتونا بامرأة، طبعا فقد تفتن بها انت ايضا إذا ما صادفتها.»

«هل هي جميلة؟»

«فاتنة، شعرها اشقر يتدلى على ظهرها، وبشرتها ناعمة، وخصرها نحيف، لو ارادت غالبية النساء الحصول على خصر مثله، لتوجب عليهن القيام بتمارين قاسية، لكن ليست ديانا، لان خصرها طبيعي، كنا افضل صديقتين في الجامعة ودائما كنت اشعر اني لست بأناقتها.»

ابتسم مارك بصمت وهو يراقبها تأخذ قطعة من الحلوى. كان عليه ان يخبر كارول ريغن هايز بأن ليس لديها ما تقلق عليه من حيث مظهرها، فهو لم يكن يتصور ان اي فتاة كانت ستبدو اجمل منها، وهي جالسة

على الارض، فقد بدت له صورتها في اوج تألقها.

«إذن انت تحبين الفتاتين؟»

«آه، احبهما، فهما بالنسبة لي مثل شقيقتين طبعاً، لاني اعرف اليزابيت منذ سنوات، في حين انني لم استغرق وقتاً طويلا لكي اتقرب من ديانا. في الواقع، كنا صديقتين من قبل ان تتعرف على ستيفن، انها شابة قوية. قد لا تجد الكثيرات ممن يعرفن كيف يتدبرن لوحدهن امر القيام بتربية طفل دون مساعدة من الغير، كما حصل مع ديانا.»

كان مارك يفكر بما تقوله كارول، عندما استدارت لتواجهه. «انها ام ارملة.» شعرت كارول انها مجبرة على القول. «وكما ترى فإعجابي بها بقدر محبتي لها.»

«ماذا حصل للوالد؟»

اطبقت شفتيها بحزن، ثم قالت:«لقد توفي في حادث سيارة على الطريق السريع.»

قال مارك:«يبدو ان نساء شقيقيك قد تعرضتا لصدمات قاسية.»

اومأت كارول برأسها موافقة، ثم اشرق وجهها بابتسامة. «حسنا، استطيع القول ان لا صدمات بعد الآن، فستيفن يعشقها وديانا تحبه ايضاً على ما ما يبدو، استطيع ان اتنبأ لهما بحياة رائعة في المستقبل القريب.»

كان واضحاً لمارك ان كارول رومنطقية النظرة. ويبدو ان فقدانها لزوجها لم يغير اعتقادها في ان الحب.

والزواج مساويان دوماً للسعادة. «اذن متى تزوج جايمس؟»
«من الواضح ان ذلك حصل من حوالي الشهر.»
تابعت بمرح:«كان لدينا زفاف في المزرعة، ستيفن وديانا التقيا قبل اسبوعين في حفل الزفاف!»
هز رأسه ساخراً، وقال:«لا بد انه كان حب عنيف فوري.»
«فوري.» وافقته القول، ثم تابعت:«فقد اتما خطوبتهما قبل عودة جايمس واليزابيت من شهر العسل. فعندما تحب بعنف لا تعود تفكر بالذي حولك.»
لم تكن تدرك كارول ان ضحكتها قد اصابته بارتعاش. فقد تنفس بعمق، مجبراً نفسه على عدم الالتفات الى كارول، لكن عينيه رفضتا الانصياع وبقيتا تحدقان في وجهها.

الفصل السادس

كان قد عاد ذلك الدلال المزعج الى صوتها، لكن تلك الابتسامة الصغيرة على شفتيها كانت بالتأكيد لغز من الالغاز، جعلت منه غير قادر على تقييم سؤالها اكان تحدياً، او دعوة له. لكنه في قرارة نفسه فضل الاختيار الاخير. لكن التفكير بتلك الطريقة كان قد زج مارك سابقاً في متاعب لاكثر من مرة في حياته.
كان قد اشاح بنظره عنها، لكن ليس قبل.ان تلحظ كارول تلك الابتسامة العريضة تملأ وجهه، لم يكن يدرك في تلك اللحظة كم كان بألاعيبه الصبيانية محبب اليها.
ثم قال:«اظن انه لامر فيه من الصواب، ان الانسان قادر على تعلم شيء ما في كل يوم.»
كانت كارول تحاول جاهدة منع نفسها من الضحك بصوت عال، وتساءلت من كان مارك يمازح؟ رجل مثله لا بد أنه عرف نساءً في ماضيه. وعلى الارجح، العديدات منهن.
وراحت تؤنب نفسها بصمت، حتى لو ان الرجل عرف نساء في ماضيه، فذلك لا يعني بالضرورة انه وقع في حب احداهن. وغريغور كان قد اثبت لها ذلك الامر بوضوح ومرارة، كان يحب المرأة، لكنه لم يكن ليقع في حبها.
قالت بصوت اختفت فجأة منه العاطفة:«اذن اظن انك تحسب نفسك محظوظاً.»
كان مارك يحسب نفسه محوظاً لانه تجنب حالة الوقوع

www.liilas.com

في الحب، إذن لما عليه ان يزعج نفسه بالاعتراف به لهذه السيدة؟«هل تحاولين ان تسأليني ان كنت قد تزوجت؟.» ان تبلد احساسه قد بعث لونا زهريا في خديها، لكنها على الرغم من ذلك، ابقت عينيها مسمرتين في عينيه، وقال:«كلا ليس عليّ ان اسأل. اذ يبدو عليك مظهر الشاب الذي لا يرتبط.»

نظر مارك الى نفسه، وكأن شيئاً في مظهره قد فاته ان يراه. «اي شيء بي يجعلني ابدو كذلك؟»

لم تكن كارول تطمح في ان تغوص في حديثها معه، وبما ان الامر قد حصل، فقد عزمت على ان تتناول الموضوع بسلاسة، وبعد ان ابتسمت له، قالت:«كل ما فيك يدل على ذلك.»

مجرد ان انتبه الى انها تنظر اليه عن قرب نظرة لا تشوبها اي عاطفة، فقد اثار هذا الامر فيه افكاراً غريبة.

«حسنا، اني لم اتزوج على الرغم من اني ذات مرة كنت على وشك ان افعل، او اقلها، اني اعتقدت بأن العلاقة تتطور الى الزواج، لكن هذا الامر لم يحصل.» ثم قال وهو يفكر بتلك المرأة التي خذلته عندما عرفت بأنه قد تخلى عن مهنته كلاعب بايسبول. «تلك التجربة قد فتحت عيني، منذ ذلك الحين لم اعد ارغب في ان ارتبط بأي امرأة، اكان بالزواج او بأي طريقة اخرى الى حد ما.»

إذن، لقد خاض تجربة علاقة فاشلة ايضا، فكرت متأملة بصمت، لم يكن امرا غريبا، انه اراد ان يهجر تكساس ويبدأ حياة جديدة في مكان جديد، اجابته بتأكيد لا تردد فيه:«انا ايضا لا ارغب في الارتباط بزواج.»

نهضت وتقدمت نحو الطفلة، وكان مارك يراقبها وهي تنحني فوق رأسها وتمرر اصابعها فوق حاجبيها، قال لها:«اني لا افهم لكن يبدو انك متحمسة لزواج شقيقيك.»

بعد ان شعرت بارتياح كون الطفلة كانت نائمة نوما طبيعيا هادئا، وتتنفس تنفسا منتظما، وقفت كارول ثم رمقت مارك ستيوارت بنظرة جانبية.

«اني متحمسة جدا لزواجهما، واليزابيت، تلك المرأة العزيزة على قلبي تستحق كل ذرة سعادة يمنحها شقيقي إياها.»

«اظن ان هناك شيئاً قد فاتني، او اني لا استوعب الامر، فأنت متحمسة لزواج شقيقيك، وفي اعتقادك انهما سيسعدان. لكنك لا تفضلين الزواج لنفسك.»

«هذا صحيح، اترى، ما من شيء قد فاتك.» ثم تمشت في الغرفة باتجاه النافذة ازاحت عنها الستائر.

بقي مارك محدقا بها، ولم يزل غير واثق من انه سمعها جيدا، على الرغم من انه لم يعرف لما قد صعقته بإجابتها على هذا النحو.

لانها على ما يبدو رومانسية التفكير، فكانت كلما تحدثت عن زواج شقيقيها، لمع بريق في عينيها.

بقيت كارول تنظر الى خارج النافذة، فقد استحال الجليد ثلجا، وتغطت الارض بسجادة سميكة بيضاء، وراحت كارول تسأل نفسها، لو لم يكن الطقس على ما هو عليه الآن، لكانت احتفلت مع عائلتها الليلة، ومن المرجح، انها ما كانت التقت بمارك ستيوارت، ولكانت قد قرأت نبأ وجود الطفلة على عتبة منزله في

جريدة الصباح. فهل كان الحظ يلعب لعبته معها؟ وهل ارسل الجليد والثلج فقط، لتبقى في منزلها الليلة؟
نظرت حولها فوجدته يراقبها، وقد بدا على وجهه تعبير هادىء متأمل، ثم خاطبته:«لقد تزوجت مرة ولا اظن انني سأجد السعادة في زواج ثان.»
لاحظ مارك ان ثمة اشياء كثيرة أستطاع ان يقرأها في عينيها، لكنه حاول بسرعة تجاهلها، فحياة كارول هايز لم تكن من شأنه، في الحقيقة فهي مثيرة للمتاعب. لقد احس بذلك بسهولة كإحساسه بالدفء المنبعث من الموقد. لكن هناك الطفلة التي يجب التفكير بشأنها، لم يرغب في تركها، كما انه لم يكن يرغب بترك كارول لوحدها مع الطفلة.
وخاطبها بالقول:«احسب ان فقدان زوج قد يخيب امل الطرف الآخر.»
لن يستطيع ادراك مدى خيبة املي، قالت في نفسها، لان مارك ستيوارت لا يعلم بأنها قد فقدت زوجها من وقت طويل سبق حدوث الحادث الذي ادى بحياته.
ووجدت نفسها تخاطبه:«كان قد قتل في طقس كهذا، في طائرة كانت تحلق فوق جبال بوسطن، كان غريغور طياراً ماهراً، لكن على ما يظهر، تعطلت احدى المحركات والثلج كان يهطل بغزارة ما ادى الى احتجاب الرؤية.»
ابعد مارك عينيه عن وجهها المتألم، وقال:«لم يسبق ان فقدت شخصاً مقرباً إلي، حتى انه لا يوجد الكثير من الاشخاص الذين يرغبون بأن تربطهم صلة قرابة بي.»
وفيما هي تفرك ذراعيها لتزيح عنها قشعريرة البرد

التي ألمت بها، ابتعدت كارول عن النافذة وتقدمت لتقف على بضع خطوات منه. «اني اشك في ذلك. عندما يكون لديك عائلتان، فأنت تحظى بالكثير من الاقرباء.»
لوى مارك شفته وقال:«لنقل ان لدي اقارب. لكن الجزء الحميمي من القرابة...أمر قابل للتساؤل.»
انحنى الى الامام ووضع الصحون الفارغة على طاولة القهوة. «حين كنت في المطبخ، كنت افكر بأمر الطفلة.»
«ماذا بشأنها.»
«تحتاج لأن نطلق عليها اسماً ما، ام اننا سنبقى نطلق عليها اسم الطفلة؟»
قابلت كارول نظرته الجانبية لها بنظرة متسائلة، وسألته:«لا نملك الحق في ان نسميها، اليس كذلك؟»
«من لديه حق افضل؟ نحن والداها في الوقت الحاضر. الى جانب ذلك. فأنا لا اتحدث عن اسم شرعي، يمكننا ان نعتبر ان من حقنا ان نسميها، في الوقت الحاضر.»
تحول نظر كارول عن وجهه الى وجه الطفلة، التي بدأت تتلوى وتستيقظ، واجابت:«حسنا، احسب ان الامر لا يؤذي وان هي وقعت في ايدي السلطات المختصة فسنلقبها بالطفلة دي يو، او اسماً سيئاً مماثلاً.»
«انت على حق، إذن ماذا سنسميها؟»
ابتسمت كارول ورقت ملامح وجهها، وهي تحاول الجلوس بجانب الطفلة، وتقول:«لا ادري، ان تسمية طفلة شيء لم اقم به من قبل.»
نظر مارك الى الاثنين معاً، ثم اجابها:«وانا ايضاً...»

«اليس من عادة الناس ان يسموا اطفالهم بأسماء اقربائهم، البعض منهم يفعل، اما انا فقد اطلقوا علي اسم خالتي لامي، وماذا عنك؟»
«لقد سموني بإسم جدي لابي، وكان جندياً خلال الحرب العالمية الاولى، كما كان مولعاً بالنساء.»
استطاعت كارول ان تسمع نبرة الحنان في صوته، ثم التفتت اليه وقالت:«اظن انك كنت مقرباً إليه.»
هز مارك رأسه موافقاً واجابها:«نعم، عاش حتى التسعين، كان يشرب كوباً من الماء الفاتر صباح كل يوم ويقرأ في الكتاب المقدس كل مساء بعد العشاء.»
«آه، طبعاً.»
«انه لشيء اكيد، ان فتاتنا الصغيرة، لا اقرباء لها لتسمى بأسمائهم، حسب معرفتنا.»
اخذت كارول تتفحص وجهه المتجهم، وهي تقول:
«احسب انك لست رجلاً متسامحاً.»
اتسعت حدقتا عينيه عندما لاحظ انها تتوقع منه ان يكون متسامحاً، فأجابها:«ارى من الصعب جداً تصور احدهم وهو يلقي بطفلة في العراء في مثل هذا الصقيع.»
«افهم تماماً كيف تشعر، يساورني نفس احساسك بالرغم من محاولتي التغلب على هذا الشعور.»
قال:«لما لم تحاولي التغلب على ذلك الشعور.»
حاولت كاثرين ان تجد سبباً يبرر اقدام احدهم على ترك طفلة على عتبة بيت، فردت:«ليس بأمر مصيب ان نحكم على الآخرين، خصوصاً ان كنا نجهل ظروفهم.»
اختفى ذلك التعبير الساخر عن وجهه عندما اقتنع

بكلام كارول. وقال«من الواضح انك امرأة طيبة القلب، لكنك على حق بما يتعلق بالحكم على الآخرين.»
«لا اريد ان ادين من تخلى عن الطفلة، لكن اريد ان اعرف لم قد تخلى عنها.» تقدم مارك من الكنبة وجثم بجانب كارول والطفلة.
سمحت كارول لنفسها بأن تتفحصه للحظة من قريب وهو ينحني برأسه نحو الطفلة، استطاعة رؤية شعره الاسود وقد قص قصيراً، فيما عدا الجزء الامامي منه الذي انسدل على جهة واحدة من جبينه بتموجات غير منتظمة.
قالت محاولة ان تبتعد عن افكارها الشاردة:«فلنعد إذن الى الطفلة، هل فكرت في اسم لها؟»
صوب نظره نحو وجه الطفلة، وقال:«في الحقيقة لا، في كل مرة انظر فيها اليها، ابقى افكر عن مدى الصدمة التي شعرت بها، حين وجدتها في الصندوق. انها أتت، بالتأكيد، في ظروف عادية، وغني عن الذكر، في اسوأ عاصفة جليدية، على ما اذكر.»
اقترحت كارول:«همم... ناهيك عن الجليد والثلج، فهذه الفتاة الصغيرة قد افتعلت عاصفة بحد ذاتها، انها لا تعلم بالامر،إذن يمكننا ان نسميها ستورمي.»
نظر مارك الى كارول وغطت وجهه ابتسامة عريضة.
«نعم... احب هذا الاسم.» ثم نظر نحو الطفلة، وتابع:«ما رأيك، ايتها الصغيرة؟» وما ان سمعت الطفلة نبرة صوته، حتى تغير لون وجهها، فغدا اكثر احمراراً، وفي غضون ثوان، كانت تصرخ بعنف.
«لا بد انها تكره الاسم.» قال مارك ذلك بابتسامة

خافتة. ازاحت كارول البطانية عنها، وبسرعة اكتشفت بأن ستورمي الصغيرة بحاجة لتغير حفاضها.
«انها لا تفهم شيئاً مما تقوله، الآن بالذات، لا يهمها بأي اسم ستناديها. فهي تحاول ان تطلب منك ان تغير حفاضها.»
«انا؟» سأل مارك متعجباً: «وماذا عنك انت؟ فأنت الام هنا.»
ضحكت في داخلها من هذه المزحة وتابعت كلامها بمرح: «وأنت الأب. في ايامنا هذه، الاباء يقومون بتغيير الحفاض.»
قال وهو يرفع كفيه عالياً: «لا يمكنك ان تتوقعي مني ان اكون والداً في هذه اللحظة، وان ألم بمثل هذه الاشياء.»
«لما لا؟» سألته كارول، وقد وجدت ان احجابه بذلك الشكل كان مسليا اكثر من اي شيء آخر.
«حسناً، نعم لكن ذلك مختلف. فأنت امرأة ومثل هذه الاشياء تأتي معكن بالفطرة.»
ظهرت غمازتان على جانبي فمها وهي تحاول ان تخفي ابتسامتها وتقول: «احرص على حمايتها، في حين اذهب لاحضر حفاضاً من المطبخ.»
بسرعة نهض مارك واقفا على قدميه، وعلى الاثر احدثت ركبتاه صوت طقطقة.
«انهما ركبتا القاذف.» قال وهو يشرح لها وقد رآها تلتفت إليه، وتابع: «انهما تتشنجان باستمرار... آه، دعيني احضر لك الحفاض.»
غادر الغرفة بخطوة سريعة. ضحكت كارول بنعومة،

ثم خاطبت الطفلة: «سوف لن يهرب منك الرجال، يا ستورمي. فعندما تكبرين وتصبحين جميلة جدا سيلاحقونك، وانا لي والدين وشقيقين يحمياني.»
ومجرد ان تذكرت عائلتها، اختفت الابتسامة عن شفتيها، لطالما حلمت بأن تمنح والديها حفيداً، خلال تلك السنوات القليلة الماضية، كان عليها ان تواجه حقيقة ان تلك الاحلام لن تتحقق ابداً، لقد ظنت انها قد تأقلمت مع واقع عدم انجاب طفل. والآن وهي تحمل هذه المولودة بين ذراعيها وفي منزلها، عاد اليها حنينها القديم.
«ها هي هنا... احضرتها... كلها.»
نظرت كارول حولها لترى مارك وقد عاد بالحفاضات. قالت وهي تتناول حفاضا: «اشكرك. هل سيرك الى المطبخ اراح ركبتيك؟»
«ركبتاي؟»
«انت تعرف، مشكلة ركبتيك.» حاولت ان تذكره، ثم تابعت: «آمل انك لم تؤذ ركبتك المجروحة، عندما كنت تتسلق الجبل.»
جلس في كرسي قريب كانت موضوعة على بعد زاوية منها ومن الطفلة، وقال متأثرا باهتمامها به: «لا، ركبتي بخير، حين كنت في الثامنة من عمري، كنت اقضي كل صيف جالسا القرفصاء، احياناً، تتوقف ركبتاي عن الحركة، عندما ارغب في مدهما.»
نشرت قطعة القماش امامها وطوتها بشكل مستطيل صغير. ثم قالت: «لطالما تساءلت ما الذي يبقي اخي

ستيفن يحرك ساقيه باستمرار. فهو يقوم بالكثير من السير والركض مع فرقته.»
وبطرف عينيها استطاعت كارول ان ترى مارك وهو يضع رجلا فوق اخرى، ويريح رأسه على مؤخرة الكرسي. عندما انتهت تقدم مارك وجلس القرفصاء بجانب كارول والطفلة.
ادارت كارول رأسها فوجدت وجهه قريباً جداً من وجهها. وعندما تلاقت العينان خفق قلبها خفقة صغيرة سرعان ما تحولت الى خفقان سريع.
«نحن، آه... لا نعلم كم سيدوم الثلج والجليد، وجل ما نعلمه ان علينا ان نكون بمثابة والديها لعدة ايام.»
«عدة ايام؟» لم يكن مارك قادراً ان يعرف ان كان سيبقى على قيد الحياة لعدة ايام، وهذه المرأة الى جانبه. لقد اثارت فيه ظنوناً لم يكن حرياً به ان يفكر بها، وان يقدم بأفعال غير راض عنها.
«لا اعرف اي شيء عمًا يتطلبه الرجل كي يكون والداً.» قال ذلك وعيناه تتفحصان ملامحها الباهتة. كانت رموشها سوداء كثيفة، وطويلة بما يكفي لتبدو كأنها مستعارة، لكن مارك تيقن انها ليست بمستعارة، فكل ما في هذه المرأة اصيل وجميل.
اجابته وهي تبتسم:«وانا لا اعرف كيف اكون أماً.»
«اظن اننا نستطيع ان نتعلم معاً... فلنأمل اننا نقوم بالامر على الوجه الصحيح.» قال ذلك وعيناه تستقران على شفتيها. وفجأة، استدارت كارول ناحية الطفلة، وهي متقطعة الانفاس.

قال بسخرية:«لا بد انك ذات شأن في غرفة صفك، اراهن ان تلاميذك قد تعلموا الكثير، حتى من لا يرغب منهم في التعلم.»
«احب ان افكر انهم قد تعلموا شيئاً ما.»
من طرف عينه، استطاع ان يرى كارول تبتسم. من الواضح انها شعرت بالسرور لمحاولاته مساعدتها في الاهتمام بالطفلة، وقد منحه ذلك شعوراً بالرضى.
اي رجل لا يرغب في اسعاد امرأة جميلة مثل كارول؟ كانت كارول قريبة جداً منه حتى ان عطرها ملأ انفه، ولمسة من يدها الناعمة على يده، جعلته يتخيل نعومة ملمس وجهها.
لاحظت كارول ان اصابعها مازالت مشبوكة بأصابعه. بم كانت تفكر؟ كم كانت تشعر بتلك الاشياء؟ اصابتها هذه الاسئلة بخوف شديد، شيء لم يكن له علاقة بالعاصفة الجليدية او بالطفلة.
وبسرعة هبت من مكانها وقالت:«اظن... آه... انت راقب الطفلة وانا اذهب لادير التلفاز، لنرى ان كنا نستطيع التقاط نشرة الطقس.»
بعبوس حائر، اخذ مارك يراقبها وهي تتقدم في الغرفة ومن ثم تدير تلفازاً كبيراً وقد شعر بأنها كانت على وشك ان تقول شيئاً آخر.
انسى الامر، فكر بالعاصفة، وبالطفلة او بأي شيء سوى كارول هايز.

الفصل السابع

وعلى شاشة التلفزيون، أذاع مذيع نشرة الطقس بأن الثلج سيتساقط خلال الساعات المتبقية من الليل، مع انجلاء بعض الغيوم خلال الفترة الصباحية، وارتفاع في معدل درجات الحرارة لليوم المقبل بمعدل 20 درجة.
وعندما توقف الارسال لبث اعلان، نظر مارك الى كارول وقد كانت تجلس على الارض بالقرب من الموقد.
سأل:«ماذا سيحل بنا؟ ان اثلجت طوال الليل، قد لا اتمكن من الوصول الى الطريق العام، او بالاحرى الى المدينة.»
حولت كارول نظرها عن شاشة التلفزيون، الى حيث كان مارك يجلس وهو يراقب الطفلة، وبالرغم من ان ستورمي كانت نائمة، فكان واضحاً، انه اراد ان يبقى قريباً منها، وكأن بقاءهم والثلج يتساقط قد زاد من تعلقه بها.
اجابته:«لا اعلم، لكن لدينا قسم مختص بالطرقات العامة ويقوم بمهامه على مدار الساعة، وإذا ما عزل الثلج الناس فان الامر قد لا يستمر لمدة طويلة.»
نهضت كاثرين وتوجهت ناحية الهاتف، رفعت السماعة الى اذنها ووجدت الخط مازال مقطوعاً، وتساءلت عما ستقوله عائلتها، عندما يصبح بإمكانها اعلامهم بنبأ ستورمي الصغيرة، فأقلها ستكون صدمة بالنسبة إليهم.
«لايزال الخط معطلاً.» خاطبت مارك وهي ترى على

وجهه نظرة من يتوقع ذلك. وهو يئن مرر يده المتعبة فوق وجهه، وسألها:«على اي حال، ما الوقت الآن؟»
رفعت كارول كم كنزتها عالياً لتنظر في ساعة يدها:
«انها الثانية عشرة تقريباً، وعلى وشك ان تحل السنة الجديدة!»
في الطرف الآخر من الغرفة كان يوجد مقعد طويل وضع امام التلفزيون، اومأت كارول اليه وقالت:«فلنذهب اليه قد تكون إحدى المحطات تقوم بعد عكسي حتى منتصف الليل.
وبدأت كارول تبحث في محطات التلفزيون.
«آه، انظر هذه المحطة تعرض مشهداً في نيويورك!»
«لم اكن اتوقع ان اجلس مع امرأة جميلة الليلة.»
خاطبها بذلك وعيناه الرماديتان الدافئتان مسمرتان على وجهها المبتسم.
لمعت عيناها وهي تنظر اليه:«آه، لا تقل لي انك مجامل تماماً مثلما انت منقذ.»
لاحت مسحة من لون على وجهه الاسمر، لم يستطع ان يعرف لما قد سمح لتلك العبارة الصغيرة في نهاية حديثه بأن يزل بها لسانه، لكن في اللحظة ذاتها لم يعط الامر اهتماماً، كارول امرأة جميلة وابتسامتها له لم تكن تماثل ابتسامة اي امرأة اخرى، اجابها:«اني بالكاد اكون منقذاً، فأنا مجرد رجل وجد طفلة.»
هزت كارول رأسها، وقالت:«انك متواضع جداً، وحسب توقعي للاشياء، ما توقعت رؤية رجل غريب وطفلة هذه الليلة وفي منزلي!»

كما انه لم يتوقع ان يجد امرأة مثلها في هذا المنزل، او اي مكان آخر، لكنه احتفظ بفكرته لنفسه.
تابعت كلامها بعد قليل:«لما استطاعت ستورمي ان تبدأ حياتها في هذه السنة الجديدة.» وهي تهمس كلماتها، فجأة ترقرقت الدموع في عيناها.
كانت عيناه مسمرتان على وجهها الآسر، فيما كان يسري في داخله احساس من الكبرياء، والفرح والرغبة. لم يشعر في حياته قط بما شعر به في هذه اللحظة.
وقبل ان يدري ما يفعله، مد يده ودفعها نحوها.
لم تدر كارول أياً من الشيئين قد صعقها قبل غيره، تقبيله لها، او احساسها بذلك الشعور الجميل.
في هذه الاثناء كانت افكار كل منهما قد تلاشت في غياهب النسيان.
همست كارول بنفس متقطع:«سنة حلوة يا مارك ستيوارت.»
قال:«اظن انه منتصف الليل.»
حدقت كارول في التلفزيون حيث رأت الناس يصرخون بأعلى اصواتهم ويهنئون بعضهم البعض ويغنون اغنية.
«نعم ولت سنة قديمة، والآن تبدأ سنة جديدة.»
لم تكن تعلم ما كان يحصل لها، واطرقت تفكر، وهي تغرق في مقعدها بوهن، فهي لم تختبر مطلقاً في حياتها مثل هذا المزيج الغريب من الاحاسيس. فقد كانت سعيدة، ترتجف، وزيادة على ذلك، شعرتٍ بانجذاب نحو مارك، ولم تلحظ اعجابها برجل مطلقا

سوى الليلة، وراحت تفكر كأن كل شيء يحدث بسرعة وكانت عواطفها تجيش في داخلها مثل قوس قزح.
احس انها تحاولِ الابتعاد عنه، قدٍ تكون قد ندمت على تلك القبلة، حسناً، وهو نادم ايضاً، لان مارك كان يعلم ان قبلة واحدة قد يكون من الصعب جداً نسيانها. قال لها مقترحاً:«لقد اصبح الوقت متأخراً، ولا بد انك متعبة، سأبقى مع الطفلة، اعتقد اني اصبحت اعرف ما يتوجب علي ان اقوم به الآن.»
اومأت كارول برأسها بسرعة، واجابت:«لا يمكنني ان اتركك معها، انت اذهب الى الفراش، توجد اربع غرف، اختر غرفة لك، باستثناء آخر غرفة الى اليمين فتلك هي غرفتي.»
طأطأ مارك رأسه، وقال:«لا استطيع، لكن افعلي ما يناسبك.» بالرغم من ان كارول كانت متعبة، الا انها كانت تدرك انها ان أوت الى الفراش، فلن يغمض لها جفن، وبالتأكيد مع كل ما يجول في خاطرها.
كانت ستورمي لا تزال نائمة، وقبضة يدها الصغيرة قد رفعت الى فمها.
وباندفاع تلقائي، سوت كارول البطانية على الطفلة، ثم همست:«ليلة سعيدة يا صغيرتي، سنبقى انا ومارك هنا لنحرسك.»
لم تكن كاثرين تعلم اي الاثنين ايقظها قبل الآخر، صراخ الطفلة ام رنين جرس الهاتف، وفي الوقت الذي كانت تحاول فيه ان تفتح عينيها وترغم نفسها على الجلوس، رفع مارك ستورمي وحملها الى المطبخ، ثم

خاطبها من فوق كتفه:« انت اجيبي على الهاتف، وانا سأسخن لها زجاجة الحليب.»
هرعت كارول الى الهاتف، وهي شبه خائفة من ان يقطع المتصل الخط، فتفقد اتصالها بالعالم الخارجي.
«آلو.»
«صباح الخير، كارول، كيف تسير الامور في الجبل؟»
«جايمس، آه، يا جايمس، سرني سماع صوتك، لن تصدق ما حصل!» وبدأت تقص عليه القصة بكاملها، وانهتها اخيراً، بأن مارك قد اخذ الطفلة لتوه الى المطبخ ليحضر الحليب.
«مارك؟ تعنين ان الرجل معك الآن؟ تسمحين لرجل غريب لا تعرفينه بقضاء الليلة في منزلك؟ كارول هل جننت ام ماذا؟ انت لا تعرفين اين قد وجد الطفلة! قد يكون اختطفها.» كم بدا قول شقيقها غريباً عن انها لم تكن على معرفة بمارك، لقد بدا بالنسبة إليها وكأنها تعرفه منذ زمن طويل. لكن جايمس لن يفهم ذلك، فقد كان لجايمس اسلوبه الخاص في فهمه للامور، واجابت بذبول:«بالطبع يا جايمس، على الارجح انه فعل كي يأتي بها الى هنا.»
تنهد شقيقها تنهد المستسلم. وقال:«اظن انك على حق، يا كارول، من حسن الحظ اننا لم نعلم بالامر ليلة البارحة، والا لكنت قلقت عليك.»
«طبعاً، انت على حق، وبالإضافة الى ذلك فمارك جاري وقد انتقل الى حي مابري الذي يقع في آخر الطريق من هنا.»

«نعم، إذكر ذلك، إذن ماذا ستفعلين الآن؟»
«حسناً، لقد حاولنا الاتصال بالسلطة المختصة، لابلاغهم عن كل شيء، لكن هاتفي كان معطلاً، اظن ان بامكاننا الاتصال مجدداً الآن، وسنرى كيف سيكون ردهم.»
«نعم افعلي ذلك، على الفور، يا كارول، وقد يكون من الافضل ان تتصلي بباركر مونتغمري، قد تحتاجين الى نصيحة قانونية فأنت لست على معرفة بمثل هذه الامور.»
«انت على حق.» اجابت كارول وهي ترفع شعرها عن جبينها الى خلف، وتابعت:«سأقوم بالاتصال به اول الامر، ومتى تمكنت من الاتصال بالسلطة المختصة وسويت الامور، سأعيد الاتصال به واعلمك بما يحصل.»
«حسناً، لا تدعينا ننتظر طويلاً، لاني حالما انهي مكالمتي، واعلمهم بهذه القصة، سيثور المنزل بكامله.» واستطاعت كارول تخيل المشهد كما هو.
«سأقوم بالاتصال متى استطعت.» وعدته بذلك ثم اقفلت الخط، واسرعت الى المطبخ.
وجدت مارك وهو لا يزال يُطعم الطفلة، كانت قد بانت على وجهه خطوط ناتجة عن الارهاق. لكنه بدا اكثر ارتياحاً مما كان عليه في الساعاتٍ التي اعقبت منتصف الليلة الماضية، عندما غط نائماً على الارض قرب الموقد.
بدل ان توقظه، غطته كارول ببطانية، ثم استلقت على

الكنبة بجانب الطفلة. كان ذاك آخر شيء تذكرته قبل استيقاظها هذا الصباح.
«من ذا الذي يتصل في مثل هذه الساعة؟ انها لم تزل الساعة الخامسة فقط.»
توجهت كارول الى ماكينة القهوة، وملأتها بالماء البارد، ثم اجابت:«انه اخي جايمس. اخبرتك انه مزارع، والخامسة صباحا يبدو وقتا متأخرا بالنسبة إليه.»
اخذ مارك يتفحصها بعينيه من اعلى رأسها حتى اخمص قدميها، وإذ لاحظ قدميها، بدأ يبتسم، ويقول:«ارى انك قد نزعت الكعب العالي اخيرا.»
نظرت الى قدميها المكسوين بجوربين، ثم التفتت اليه، لعلها كانت تبدو مخيفة، فشعرها اشعث ووجهها لا زينة عليه، اجابته:«اعتقد ان الاحتفال قد انتهى، هل ترغب بتناول الفطور؟ بعد ان حصلت ستورمي على حصتها؟»
«بالتأكيد، كانت جائعة، وانا كذلك، لكن من الافضل ان نتصل بالشرطة قبل القيام بأي شيء آخر.»
اومأت برأسها وهي على وشك ان تنتهي من مزج مواد القهوة مع بعضها البعض، ووافقته قائلة:«سنجري الاتصال في حين ننتظر انتهاء القهوة.»
قام مارك بسرد الحادثة التي حصلت معه الى الشرطة في الدقائق المتعاقبة. ثم تناولت كارول الهاتف وسردت قصتها، وعندما طلب اليهم اخيرا ان يقطعوا الاتصال، قالت كارول:«لم يفاجئهم الامر مثلما توقعت.»
«انهم ضباط في الشرطة، وهم معتادون على سماع ورؤية اشياء مفاجئة.»

«اظن انك على حق، لكن اتمنى الا نضطر للذهاب الى المركز، فنحن قد بلغناهم بكل ما نعرف.»
هز مارك كتفه وهو يجلس الى طاولة المطبخ.
«انهم بحاجة لرؤية الطفلة، كي يعرفوا اننا لم نقم بتركيب هذه الرواية، وانا واثق من انهم يريدوننا ان نسلمهم الطفلة.»
حدقت كارول به بذعر، وقالت:«هل جننت؟ لن اسلمهم ستورمي!» نظر مارك اليها عبر الطاولة ودهش عندما رآها ترتعد. سألها:«ماذا تعنين؟ انها الآن يتيمة وموضوعة تحت وصاية المحكمة.»
هزت كارول رأسها بعنف:«لا! لا اريدها ان تكون تحت وصاية المحكمة، فسيرسلونها الى ميتم مكتظ بالاطفال، او سيضعونها تحت وصاية والدين غريبين عنها! انها حديثة الولادة، يا مارك، ولا تعرف سوانا. من الافضل الاحتفاظ بها، على الاقل، لايام قليلة، الا تظن ذلك؟»
اذا امكننا الاحتفاظ بها، لم يسع مارك سوى ملاحظة كيف انها شملته بحديثها، وكأنه سيستمر كطرف في هذه القصة بمجملها، ليلة البارحة وقبل ان يخلد الى النوم راح يحدث نفسه بأن افضل ما قد يقوم به هو ان يسلم الطفلة الى اصحاب الشأن، ومن ثم يعود ليتابع عمله الخاص، وينسى امر ستورمي وكارول.
ولكن مع بزوغ الفجر، وهو محتضن ذلك المخلوق الصغير بين ذراعيه، كان يخالجه شعور داخلي بأنه اصبح متحمسا اكثر من كارول لفكرة عدم تسليم الطفلة.

مارك، انت تفكر الآن بعاطفتك، ومثل هذا التفكير سيورطك في متاعب، وانت تدري ذلك! قال لها:«لا اعرف يا كارول في حالة طفلٍ، لا أظن ان باستطاعتك تطبيق قانون من يجد شيئاً يحظى بما وجده.»

وفجأة، طقطقت اصابعها ووقفت قائلة:«لم اتصل بعد بباركر، بإمكانه اصلاح الامور، فهو يعرف تماما ما عليه ان يفعل.»

«من يكون باركر؟»

«باركر مونتغمري انه صديق قديم لي، وشاءت الظروف ان يكون ايضا محام، فقد تولى كل شؤوني القانونية عندما قتل غريغور.» اخبرته بذلك وهي تتوجه الى الهاتف الموضوع على طاولة الفطور. وبسرعة بدأت تبحث عن رقمه، وهي تتابع:«وله اصدقاء في مناصب مرموقة.»

عند الظهيرة، كانت الشمس مشرقة تبهر بأشعتها، وكان طاقم موظفي الطرق، قد عمل على إزالة الجليد عن الطريق العام، ليصبح سالكا امام المارة، وكان مارك قد سحب سيارته من الخندق وتوقف امام منزله، ثم دخل ليأخذ دوشا، ويستبدل ثيابه بأخرى نظيفة، ولدى عودته الى منزل كارول، كانت تنتظر جاهزة مع الطفلة ليقصدوا فورت سميث حيث مركز الشرطة.

كانت قد ارتدت تنورة مخملية وقميصا يتناسب مع التنورة، وقد اظهر هذا اللباس خصرها الضامر، كما انعكس اللون الاحمر على سواد شعرها، ولاحظ مارك انها كانت تضع احمر الشفاه ايضا، ووجد صعوبة

في حجب عينيه عنها، خاصة عن شفتيها اللتين كانتا تبتسمان له.

«اني مسرورة ان اَراك وقد عدت في وقت قصير.» وسألته عما إذا كانت الطريق قد انجلى عنها الجليد، ويمكن اجتيازها بسلامة، وخاطبها بالقول:«هناك رقع كبيرة من الثلج في بعض الاماكن، لكن العمال قد فرشوها بالرمال، اضافة الى وجود حركة سير الآن، فلا بد ان تكون الطريق سالكة.»

قدمت كارول اقتراحا لمارك:«علينا ان ننزل بسيارتي، فالاطاران الاماميان فيها يدفعان بقوة، وبالتأكيد لا يهمني ان توليت انت القيادة. فأنا لا اجيد القيادة على الجليد.

«لو كنت قد رأيتني ليلة البارحة، لما طلبت مني ان اجلس وراء مقود سيارتك.»

اخرجت المفاتيح من محفظتها وقدمتهما له، وهي تقول:«اني اثق بك، سأخرج ستورمي ساعة يدور محرك السيارة.»

حين غادروا المنزل بعد مرور دقائق قليلة، لم يكن مارك متحمسا للقيادة، فزلة خاطئة منه ويتسبب بأذى لكارول والطفلة، وسببت تلك الفكرة تشنجا في معدة مارك وهو يقود السيارة نزولا وببطء على تلك الطريق الملتوية، ومن ناحية اخرى بدت كارول مرتاحة تماما ومأخوذة بجمال الثلج، والطفلة بين ذراعيها.

خاطبت مارك:«يا ليت كان عندي ثياب تناسب ستورمي فالشيء الوحيد الذي وجدته كان قميصا

داخليا منكمشا لي، كان كبيرا بالنسبة لحجمها، لكني اظن انه يحل محل فستان طويل.»
«سنشتري لها بعض الاغراض فور انتهائنا من التحقيق مع الشرطة.» اجابها بذلك وهو يقود السيارة بحذر فوق الرقع الكبيرة من الثلج والجليد.
«اعلم انه لا ينبغي ان احملها في حضني خلال السفر، كان عليّ ان اوثق رباطها على مقعد السيارة.» اخذت تضرب بأصبعها على ذقنها وهي غارقة في التفكير.
«وعلي ان احظى ببعض زجاجات الحليب والحفاضات.»
التفتت الى مارك، وتابعت:«لم اتصور ابداً كم من الاشياء يحتاج اليها المولود الجديد!»
ادرك مارك ان عليه تذكيرها بأن الطفلة ستبقى معها لفترة قصيرة من الوقت، لكنه لم يستطع قول ذلك، اذ انه رأى كيف كانت تضم الطفلة الى صدرها، والحنان باد على وجهها في كل مرة تنظر اليها، لم تكن ترغب في التخلي عنها، ومارك كان يعتريه شك بالنسبة للموضوع.
قابلهم محامي كارول في مركز الشرطة، كان في حوالي الاربعين من العمر، حسب تصور مارك، وهو ذو شعر اشقرٍ وعينين بنيتين كانتا ترقبان مارك وتتفحصانه حيناً، وحيناً آخر كان يبتسم لكارول.
لم يكن بمقدور مارك التكهن ما إذا كان قداحب الرجل ام لا، لكن بدت ثقة كارول فيه مطلقة، لذا تصور ان ذلك كان الاهم.
وحين انتهت مقابلتهم مع الشرطة، تمشى معهم

المحامي حتى الموقف. وقال لكارول:«ليس عليك ان تقلقي بصدد اي شيء، فقد تكلمت مع القاضي لوتون، ووافق على السماح لك بحق الوصاية على الطفلة لحين يجدون لها عائلة تقوم برعايتها.
انكمشت كارول في داخلها، وسألته:«كم سيستغرق الامر من وقت؟»
هز المحامي رأسه:«هذا سيكون رهناً بالدائرة المنوطة برعاية الاطفال، وكم يلزمهم من الوقت ليجدوا لها البيت المناسب، على اي حال، قريباً يتصل بك احدهم، فلا تقلقي.»
طأطأت رأسها، لتعلمه انها فهمت قوله، وشكرته لانه اعطاها من وقته كي يساعدها في يوم العيد.
بعد ان ودعاه ودخلا الى السيارة، التفتت كارول الى مارك وقالت:«لا ارغب في ان تذهبي ستورمي الى زوجين لديهما عائلة كبيرة من الاطفال! اريدها ان تحظى بالعناية والاهتمام التي تحتاجهما.»
«كان عليك توضيح هذه النقطة للسيد مونتغمري.» اجابها بذلك وهو يدير محرك السيارة.
هزت كارول كتفها، وعبست قائلة:«اعرف، لكني لا اعتقد انه يفهم شعوري تجاهها، مثلما تفهمه انت.»
«انا افهم شعورك؟»
جحظته بنظرة جانبية وهي ترتب البطانية حول وجه الطفلة، وتقول:«نعم، انت تفهمني، تعرف اني احبها. واريدها ان تبقى في بيت محب، وانت تملك نفس الشعور.»

اجاب بتعبير كئيب:«نعم، لدي نفس الشعور.»
خرج بالسيارة من الموقف الى الشارع، لاحظ كارول وهي تضغط بخدها على خد الطفلة، وكانت الدموع تلمع في عينيها، وقد مزق هذا المنظر قلبه.
«آه، يا مارك، حين كانت الشرطة تحقق معنا، ويلحون على معرفة الام الحقيقية، اردت ان اصرخ في وجوههم، ان لا وجود لام اخرى لها، وبأني انا امها! هل من الجنون ان يساورني مثل هذا الشعور؟»
كان صوتها يرتعش وادرك ان الساعة التي انقضت قد هزتها اكثر من لو انها افشت سراً، فقال:«كلا ليس هذا بجنون، لكن...»
نظر اليها نظرة خاطفة ومن ثم تمنى لو انه لم ينظر، لان عينيها الخضراوين الدامعتين كانتا تحدقان به، وتترجاه بأن يمنحها بعض الامتنان.
تنفس مارك بعمق، ثم قال:«انظري يا كارول، اظن انك ستتأذين ان سمحت لعواطفك بأن تتعلق بالطفلة، وقريباً جداً ستقولين لي انك ترغبين في الاحتفاظ بالطفلة لنفسك.»
كانت قد راودتها هذه الفكرة منذ وقت طويل. والآن وكأن الحظ قد تعمّد وضع طفلة في حضنها، وهذه الطفلة بحاجة لمأوى، وقد تكون هذه الطفلة من نصيب كارول وفرحتها الوحيدة في الحصول على طفل.
«لا اعتقد انني اخبرتك بذلك، لكنني منذ وقت طويل وانا ارغب بطفل.» مررت اصابعها فوق شعر الطفلة الاسود. وتابعت:«لم لا احتفظ بها؟»

«لا ادري يا كارول، لكنني اتصور كونك عزباء سيكون الامر صعباً عليك برعايتها بشكل مستمر، اضافة الى انه قد يكون لديها اقرباء آخرون يرغبون في الاحتفاظ بها.»
ضمت كارول الطفلة الى صدرها:«آه، يا مارك، تظن انهم سيأخذونها اليس كذلك؟»
«كارول، اريدك ان تفكري في كل الاحتمالات، ولا اريد ان يخيب ظنك.»
اخرجت كارول منديلاً من حقيبتها ومسحت عينيها بحذر، ثم قالت:«اعرف يا مارك، وآسفة لانني انفعلت. احسب ان الاربع وعشرين ساعة الماضية كانت بمثابة ضغط علي اكثرمما كنت اظن.»
«لما لا تنسي كل هذا الآن، فلديك حق الوصاية في الوقت الحاضر.» واقترح عليها بأن يأخذاها الى طبيب كي يجري لها فحصاً عاماً ويشتريا لها بعض الحاجيات.
«انت محق، اليوم تبدأ السنة الجديدة، فلنستمتع بهذا اليوم.»
«جيد. قد ادعوك الى عشاء في الخارج لاحقاً، لاوفيك حقك عن الافطار الذي حضرته لي.»
ارتفعت معنوياتها، وبدت ابتسامة سخرية على شفتيها...

الفصل الثامن

بلغ وزن ستورمي ستة باوندات ونصف الباوند، وأكد لهما الطبيب على انها بصحة جيدة، وأشار على كارول بوصفة غذائية للطفلة، كما قدم لها عدة كتيبات صغيرة تتضمن معلومات قد تساعدها. ترك مارك وكارول العيادة الطبية وهما سعيدان ومرتاحان لحالة الطفلة الصحية.

وجدا مخزناً مخفض الاسعار، كان قد فتح ابوابه للزبائن في ذلك اليوم على الرغم من انه كان يوم عطلة، وبدأ الاثنان يملآن عربة التسوق بوجبات غذائية للاطفال، وبالحفاضات وزجاجات للحليب وعربة اطفال.

وعندما وصلا الى قسم الملبوسات، بدأت كارول تضع في العربة انواعاً مختلفة من الالبسة، لكن مارك لم يتفوه بكلمة كي لا يحزنها، فقد شاهدها لمرة ذلك اليوم وهي تبكي، وان كانت ستجد سعادتها في شراء ملابس الطفلة، فانه لن يفسد عليها ذلك.

وتم الاختيار على ان يتناولا طعامهما في مطعم قريب متخصص في وجبات من صنع منزلي، وبما أنه كان ذلك اليوم يوم عيد، فقد قدمت فيه اطباق من الفاصوليا، ولحم، وخبز الذرة، بالإضافة الى اطباق رئيسية.

قالت كارول لمارك بإلحاح:«فلنأكل الفاصوليا، ليكون حظنا هذا العام سعيداً، الا تؤمن بذلك؟»

«ان كنت تؤمنين بذلك، يا كارول، فسآكل الفاصوليا.»

اعاد قائمة الطعام الى النادلة، وتابع:«انا اطلب طبقي مع قطعة من السمك المقلي.»

وثبت رأي كارول على الطبق نفسه، وسألت النادلة ان باستطاعتها تحضير زجاجة حليب لستورمي، وافقت المرأة بلطف.

وهي جالسة في مقعدها قبالة مارك، والطفلة بين ذراعيها، اخذت تتساءل ان كان الشعور بعائلة حقيقية هو على هذا الشكل، العائلة التي طالما رغبت بها، فالطفلة لم تكن طفلتها، ولا طفلة مارك، لكن لليلة فقط ارادت ان تتظاهر انها امرأة محبوبة من هذا الرجل الوسيم الذي يجلس قبالتها، ومقابل ذلك الحب، منحته ابنة جميلة.

حيث ان ستورمي انهت زجاجتها، قامت كارول. ووضعتها في عربتها الجديدة، وعلى الرغم من انها لم تكن تزن شيئاً، فقد بدأ التعب يظهر في ذراعي كارول، وادركت ان من الافضل ان تسند جيداً رقبة وظهر الطفلة.

وصلت وجبة الطعام في الوقت الذي كان قد سوي فيه أمر الطفلة، واثناء تناولهما الطعام راحت كارول تحث مارك على اخبارها المزيد عن نفسه، وقالت له:«اشعر وكأنك تعرف كل شيء يتعلق بي وبعائلتي، إذن، اخبرني انت شيئاً عنك، هل ترعرعت في سان انطونيو؟»

امامها، وتابعت:«ما كان عليّ ان اخبرك بذلك، لا ادري لما فعلت.»
مد مارك يده من فوق الطاولة، امسك يدها وقال:«يا كارول انظري إليّ.» نظرت اليه وقلبها يجيش بمشاعر حارة وحلوة حتى ان الدموع احرقت عينيها.
وتابع:«تستطيعين قول اي شيء ترغبين به، مهما يكن، نحن الآن اصدقاء، نعم نحن الآن اصدقاء، اليس كذلك؟»
حتى اللحظة لم تكن كارول قد لاحظت كم كانت هذه الكلمة مميزة بالنسبة لها. «اجل، نحن اصدقاء، وإني سعيدة.»
كان الظلام قد خيم في الوقت الذي تركا فيه المطعم، وفي طريق عودتهما الى الجبل، قرر مارك ان يقضي الليلة في منزله الخاص، فقد ادرك انه لم يعد بإمكانه الوثوق بعواطفه تجاه كارول، وببقائه لوحده معها.
عندما وصلا الى منزل كارول، واخبرها بأنه عائد الى منزله، حدقت فيه باندهاش، واجابته:«آه، يا مارك، هل انت متأكد من ذلك؟ غايتي ان تبقى الليلة معي ومع ستورمي.»
شعر مارك بأنه يتمزق ارباً لخيبة الامل التي بدت على وجهها، لكنه اصر على قراره:«اعلم انك كنت تنوين ابقائي هنا، لكن الآن وقد عرضت ستورمي على الطبيب، ولديك كل ما تحتاجين اليه، ستكونين بخير.»
لم تكن كارول من قبل ضعيفة او متشبثة بفكرة،

وبالتأكيد لم تكن ترغب الآن في ان يأخذ مارك عنها فكرة مماثلة.
«طبعاً، سأكون بخير، لما لا. هناك آلاف الامهات في الخارج، استطيع ان انجح. وعلى اي حال فقد كان من اختياري الاحتفاظ بالطفلة، فهي مسؤولة مني وليس منك.»
كان يجب ان يكون مارك مرتاحاً لتصرفها المستقل، لكنه لم يكن كذلك. شعر وكأنه وضيع، واكثر من ذلك انه مهمل ومنفصل عن عائلة آنية كان جزءاً منها خلال يوم كامل.
لكن الامور كانت دائماً على هذه الحال بالنسبة لمارك، فوالدته كانت تدفع به الى والده ليتولى امره، وعندما تزوج من امرأة اخرى وانجبت اولادا ارسله والده الى والدته، ومن ثم تزوجت والدته ثانية، ولم يعد جزءاً من حياتها الجديدة، او في عداد اولادها الجدد. ويوم تخرج من الثانوية العامة، ترك المنزل، وهو يقسم انه لن يبقى في منزل ليس بحاجة اليه، او غير مقبول فيه.
«نعم، حسناً ان احتجت إلي تعرفين اين اكون، إلى اللقاء يا كارول.»
اجابته:«الى اللقاء.» ثم اخذت تراقبه بتعابير حائرة على وجهها، وهو يخرج بسرعة من الباب، فقد انقلب فجأة، في الدقائق القليلة الاخيرة من صديق دافىء يهتم بالآخر الى غريب بعيد. ما عساها تكون قد قالت او فعلت؟ او هل كان يحاول القول لها بسهولة بأنه قد

قام بما يتوجب عليه... قد انقذ حياة الطفلة، وتورطه قد انتهى؟

لقد بعثت فيها الفكرة احساساً بالوحدة، وبالرغم من ان لديها الطفلة لتهتم بها، فلم تستطع إزاحة الشعور الحزين عنها، او ان تكف عن التفكير بمارك ستيوارت.

* * *

سألت جانيت ريغن ابنتها:«كارول، هل انت واثقة مما تقولين؟ فرعاية طفل مسؤولية بالنسبة لزوجين، وعليهما اخذها بعين الاعتبار، وانت ليس الى جانبك زوج يساعدك في تنشئة الطفلة. صدقيني يا حبيبتي، هذا امر عليك التفكير به ملياً.»

نقلت كارول سماعة الهاتف الى اذنها الاخرى، ثم قالت:«لقد فكرت في المسألة يا امي، فقد فكرت في الامر منذ ان حملتها لاول مرة بين ذراعي، آه، يا امي كم هي غالية وجميلة.»

تنهدت ايلا وقالت:«نعم، اعلم يا كارول، جميع الاطفال اعزاء وعلى قدر من الجمال، ثم يكبرون فيصبحون مراهقين مبكرِي النضج. صدقيني ان تربية طفل حتى يصبح راشدا، امر ليس بالسهل.»

عبست كارول وهي تمسح الزبدة على قطعة خبز، وقد ثبتت الهاتف بين كتفها واذنها:«إذن انت تحاولين ان تحبطي عزيمتي، وتعتقدين اني سأرتكب خطأ يا أمي. فأنت تعلمين كم كنت ارغب بطفل في الماضي.»

«اعلم يا كارول، انها رغبة والدك ايضا، ونرغب في ان

يكون لديك طفل بقدر رغبتك انت، اردنا فقط ان يكون لديك طفل والى جانبك زوج.»

«حسناً، وانا اردت المسألة ان تكون على هذا الشكل ايضا، لكن هذا الشيء لم يتحقق.» وتوقفت للحظة ثم اخذت نفساً عميقا. «انظري، يا أمي، وسأخبرك ايضا بأن اول شيء قمت به هذا الصباح هو ان اتصلت بباكر مونتغمري واخبرته عن تصميمي برعاية ستورمي.»

«وماذا قال؟»

«اولاً، يجب الاهتمام بالظروف المحيطة بوالدي الطفلة الحقيقيين، ان تمكنت السلطة من العثور عليهما، ومسألة كوني ارملة ايضاً لن تساعد في حل الامور...» لكنه قال ايضا بأن فرصتي برعاية الطفلة واردة للبحث.»

صمتت جانيت لوقت طويل، مما دفع كارول الى التساؤل ان كان قد اغمي عليها:«أمي! هل مازلت هنا؟»

«نعم، نعم، انا لازال هنا، كنت فقط افكر.»

«بماذا تفكرين؟» سألتها بسرعة، كل ما تحتاجه كارول الآن، هو دعم عائلتها لها، وكانت ترجو لتحظى به.

«ان كان هذا ما تريدينه حقاً، فأنت تعرفين بأني انا ووالدك سنعمل ما بوسعنا لمساعدتك.»

ترقرقت الدموع في عيني كارول، وقالت:«احبك يا أمي.»

«ان كنت تحبينني حقاً، تعالي الليلة، لتناول العشاء معنا، واجلبي الطفلة معك، فنحن متشوقون جدا

لرؤيتها، واصطحبي ايضاً ذلك الشاب الذي وجدها. نود ان نتعرف إليه.»
«كيف عرفت انه شاب؟ فأنا لم اخبرك عنه.»
ضحكت جانيت، واجابت:«عرفت، يجب ان يكون شاباً، لان رجلاً كبيراً في السن، لا يستطيع حمل طفل والصعود به الى الجبل وسط عاصفة جليدية. باستثناء والدك، على الارجح.» قالت ذلك بتباهٍ، ثم ضحكت ضحكة ساخرة.
لطالما اذهلتها استنتاجات والدتها، ضحكت كارول واجابت:«انت محقة، فهو شاب ووسيم، وسأحاول ان آتي به وبالطفلة قبل ان تبدأوا بالعشاء.»
قالت جانيت:«سنبقى بانتظارك.» وبعد وداع سريع، اقفلت الهاتف.
كانت الساعة الثالثة بعد الظهر، ولم تكن كارول تعلم بعد ما ستفعل بخصوص دعوة مارك الى العشاء في بيت المزرعة. كانت متأكدة انه سيعود في ذلك اليوم ليطمئن عليها وعلى الطفلة، لكنه لم يظهر حتى الآن، وبما انه كان يوم السبت، فقد ادركت كارول انه قد لا يكون في المدرسة، وحيث انه جديد في المنطقة، فكانت تشك في انه يقوم بزيارة احد الاصدقاء.
حسناً، ان لم يظهر قريباً، ستذهب بسيارتها الى منزله، قد لا يكون يريد رؤيتها، لكنها هي ارادت ان تراه. وبما ان كارول ليست من النوع الخجول، فلن تهتم ان قالت له ذلك، او ان تدعوه لتناول العشاء معها ومع عائلتها.

كان مارك واقفاً بالقرب من نافذة غرفته الامامية، ثم رفع فنجان قهوته الى شفتيه وهو شارد الذهن، يحدق في التلة المغطاة بالاشجار والتي تؤدي الى منزل كارول. كان قد شغل نفسه طوال النهار، وهو يفرغ صناديقه من محتوياتها، الى ان انتهى من آخر غرض لديه. وخلال فترة عمله لم ينفك ابداً عن التفكير بكارول والطفلة، فقد اشتاق اليهما، وكلما حاول اقناع نفسه بأنه لا حاجة به لهما، كلما زادت رغبته في رؤيتهما.
بات مارك يحاور نفسه قائلاً:«انك الآن في التاسعة والعشرين من عمرك، وقد مرت بك هذه السنوات ولم تختر لنفسك امرأة تهواها، ولمجرد ان كارول تبدو امامك بنعومتها وجمالها، لا يعني هذا انها قد تكون مهمة في حياتك، لكنه كان يحتاجها، ومن دونها كان يحس بالوحدة، إذاً، لما كان يقاوم؟ لما لا يذهب بسيارته لرؤيتها؟
لان احساساً جنونياً كان يتملكه، ففي اللحظة التي سيراها فيها ثانية لن يستطيع لجم نفسه عن الوقوع في غرامها، ان لم يكن فعلاً قد وقع في حبها.
ارتدت كارول تنورة مزينة بمربعات باللونين البني والخمري الغامق، وبلوزة بيضاء وانتعلت جزمة جلدية، وما ان سمعت جرس الباب حتى رمت بفرشاة شعرها جانباً، وهرعت لتجيب.
في اللحظة التي فتحت فيها الباب ورأت مارك واقفاً على العتبة وابتسامة عريضة قد ارتسمت على وجهه، خفق قلبها من الفرح.

«مارك! كنت ابحث عنك طيلة اليوم، اعتقدت بأنك قد نسيتني ونسيت ستورمي.»
كان مارك يفكر، بأنه كاد ان يفعل... امسكت كارول بيده وقادته الى داخل المنزل.
«كلا! لم انس، كنت اعمل... كنت افرغ اغراضي.» لم يرغب في الاعتراف انه الآن فقط قد عزم على المجيء ليراها، ثم فكر لعله كان مخطئاً في القرار الذي اتخذه، لكن تفكيره لم يكن على هذا النحو، والآن وهو موجود هنا، وقد شاهد الابتسامة على وجهها، شعر بارتياح داخلي، وغمرته سعادة لا توصف كما لم يشعر ابدا بمثلها في حياته.
«كيف حال الطفلة؟ هل ايقظتك ليلة البارحة؟»
تقدمت كارول نحو الكنبة حيث كانت ستورمي راقدة. واجابت:«انها بخير، كلا، استيقظت مرة واحدة ليل البارحة.»
لم تكن كارول ترغب في الاعتراف لمارك بأنها قضت ليلة امس مستيقظة بسببه وليس بسبب الطفلة، لقد مضى على وجودها في هذا البيت اكثر من سنة، لكنها لم تتذكر مرة ان المنزل كان هادئاً وفارغاً كما هو الآن، حتى ان وجود الطفلة لم يعوض عنها غياب مارك، لكنها لم تقدر على البوح له بذلك، فقد يبدو عليها وكأنها مغرمة به، وهي ليست مغرمة به؟ اليس كذلك؟
جلس مارك الى جانب الطفلة، ولم يقو على منع نفسه من لمس شعرها وخدها الصغير الناعم، كانت كارول

قد ألبستها فستاناً ابيض، وقد رسم على صدره قلوب واقواس حمراء صغيرة.
الآن وهي في لباسها هذا لا تبدو ذلك المخلوق الصغير الذي وجده في صندوق الكرتون.
تبسمت كارول لكل منهما، الآن، وقد اصبح مارك بينهما، احست ان لا شيء ينقصها، قالت:«سآخذها لتتعرف عليها عائلتي، اي سنأخذها الى هناك، فأنت مدعو ايضا.»
سألها مندهشاً:«أنا؟ آه... لا... لا... لا يمكن ان اكون مدعواً، فعائلتك لا تعرفني!»
ضحكت كارول للتعبير الذي بدا على وجهه على اثر الصدمة، واجابت:«بالطبع، لا يعرفونك، لذا يريدون التعرف اليك، فقد اصبحت بطلا، اتعرف هذا.»
هز مارك رأسه بامتعاض وقال:«انا لست بطلاً، ولا اي شيء قريب من ذلك.»
اجابت كارول:«حسناً، عندما تكبر ستورمي، ستشكرك على ذلك.»
عاد فنظر الى الطفلة وتساءل، عندما تصبح هذه الفتاة الصغيرة شابة، هل سيعني لها شيئاً؟ وهل قد تصبح جزءاً من حياته؟ لقد دفعت به هذه الاسئلة الى ملاحظة ماهية الخسارة التي سيشعر بها ان لم يكن في حياته اطفال. واكثر من ذلك فالخسارة الا اكون جزءاً من حياة هذه الطفلة.
«هل انت متأكدة من ان عائلتك حقاً دعتني؟ وانت لا تفرضينني عليهم؟»

ضحكت كارول:«لا يمكنك ان تفرض احداً على عائلة ريغن، صدقني.»
«حسناً لست في لباس لائق لعشاء عائلي.»
حدقت بثيابه وقالت:«انك لا تبدو عارياً تحت هذه السترة! اليس كذلك؟»
وبابتسامة ساخرة على شفتيه، ازاح جانباً من سترته ليريها قميصاً اسود كان يرتديه.
«إذن سآتي بعربة ستورمي، وبحقيبة الحفاضات وسننطلق الى هناك.»
لم يسبق ان دعي مارك من قبل امرأة للقاء والديها او عائلتها، ولم يكن متأكداً تماماً من انه يرغب في الذهاب، وبما ان كارول كانت برفقته وقد اصبحوا في منتصف الطريق المؤدية الى المزرعة، فلن يستطيع الالتفات الى الوراء، او الهروب.
«اخي جايمس هو اكثر هدوءاً ورصانة، وستيفن هو المازح المزعج الذي تعود على مضايقتي بمزاحه منذ اصبح يافعاً وعالماً بذلك.» اخبرته كارول بذلك والسيارة تنحرف بهما الى مفرق يؤدي الى بيت المزرعة.
«وشقيقك الجاد جايمس كان دائما يأتي اليك ليواجهك.»
ضحكت:«كيف عرفت؟»
استطاع مارك ان يسمع في صوتها نبرة حنان وهي تتحدث عن شقيقيها واخذ يتساءل كيف يبدو ذلك المكان الذي تكن له كارول حباً في قلبها. كانت امرأة متميزة، والرجل الذي ستحبه سيكون مميزاً، وليس شخصاً على غراره.

اجاب:«انها مجرد احجية.»
حدقت كارول به، واستقر نظرها بتقدير على شكلها الجانبي الجريء وقالت:«آه، على الارجح ان لديك اخاً او اختاً مثلي. اليس كذلك؟»
علت محياه عبسة خفيفة. «ليس لدي اخوة او اخوات.»
نظرت اليه وكان الارتباك واضحاً عليها. «لكنك قلت ان لديك دزينتين من الاشقاء والشقيقات.»
طأطأ رأسه، وبدا على محياه تعبير رزين، واجاب:«نعم، لدي شقيقان، وثلاث شقيقات، لكني لا اعتبرهم اخوة واخوات حقيقيين، كانوا صغاراً حين ترعرعت بينهم، وقد بقيت مع بعضهم فترة اطول من تلك التي امضيتها مع بعضهم الآخر.»
وفكرت كارول، انه لامر محزن جداً، لا يمكنها ان تتصور حياتها من دون ستيفن او جايمس، او الحب والرفقة التي يتشاطرونها.
احست بجرح شعورها إذ علمت ان مارك لم يتعرف ابداً على مثل هذا الحب والحميمة.
عندما دخلت كارول الى المنزل ومعها مارك والطفلة، وجدت العائلة تنتظر في غرفة المطالعة.
«ها هم قد وصلوا.» اندفع والدها يقول بصوت مدو، لدى رؤيته ابنته تدخل من عتبة الباب.
اثار اعلان والدها عن وصولهم اهتياجاً، ووجد مارك نفسه مع كارول والطفلة مطوقين، وتطلع الى هذا الجمع بانبهار، وقد انطبعت في ذاكرته صورة لثلاثة

اشخاص طوال متيني البنية، وثلاث نساء جذابات جداً.
قالت كارول حيث كان الجميع يتكلمون معاً:«اعرفكم على مارك ستيوارت.» نظرت الى مارك الذي كان لايزال على مقربة منها، وقالت باعتزاز:«مارك اقدم لك أمي وأبي.»
طأطأ برأسه، محيياً الزوجين الكبيرين في السن، اللذين لايزالان يحتفظان بمسحة من الجمال وقال:«سعيد بلقياك يا سيد ريغن.»
اجابه الوالد:«ونحن مسرورون بلقائك، نحن هنا عادة لا نتقيد بالشكليات.»
تابعت كارول تعرف باقي افراد العائلة على مارك:«وهذا الرجل المتحجر الوجه الذي يلبس قميص فانيلا هو أخي جايمس، والجميلة المتعلقة به هي زوجته الجديدة اليزابيت.»
«مرحبا، جايمس واليزابيت.» حيا كلا منهما، ثم اومأت كارول بيدها الى شابين، وقالت:«وهذا الجميل الشكل يكون اخي ستيفن، العسكري، وطبعا، تلك هي خطيبته الحلوة ديانا، وهناك بن ابن ديانا.»
احاط مارك بنظره الجمع كله، وقال:«اني سعيد بلقاء عائلة كارول، وآمل الا اكون دخيلاً عليكم.»
اجابه الوالد:«هراء، يا بني! نحن نحب دائماً ان نرى وجها جديدا هنا.»
قال ستيفن:«حسناً، فلنرى اذن الطفلة، فأنت قد خبأتها تحت كل هذه البطانيات، هل تحاولين خنقها يا اختي؟»

نظرت كارول الى اخيها، واجابت:«ليس كثيراً، فالطقس بارد في الخارج، ام انك لا تدرك ذلك لانك واقع في الحب.»
بضحكة خبيثة منه، التفت ستيفن الى ديانا. «هل كنت تعلمين ان الطقس بارد في الخارج؟» سألها ثم حول نظره الى شقيقته، وكان قد بدا على وجهه تعبير ساذج مبالغ فيه، وتابع:«لم نعلم يا اختي.»
قالت جانيت:«اعطني تلك الطفلة، لن ابقى واقفة انتظر، في حين انتما تتشاجران.» واخذت ستورمي من كارول وحضنتها، تبعها الجميع وفيما كانت جانيت تنتزع البطانيات عن الطفلة، تجمعوا حولها ليلقوا نظرة عليها.
«انظر اليها يا جايمس.» قالت اليزابيت بصوت خافت:«اليست رائعة؟»
وقالت ديانا متعجبة:«انظروا إلى ذلك الشعر الاسود.»
وهم ستيفن بمضايقة كارول فقال:«يمكننا التخلص من هذا الشعر في الحال.» فما كان من كارول الا ان همهمت. قامت كارول توبخه:«انها ليست واحدة من جنودك يا ستيفن!» قالت ذلك بصوت مفعم بالعاطفة والحنان.
اضاف جايمس بصوت غاضب:«لا اصدق ان احداً قد تركها في العاصفة.»
وافق الوالد بالقول:«ولا انا يمكنني تصديق ذلك، واي يكن الفاعل، فانه يستحق ان يعلق من قدميه ويشنق في الشمس الحارة حتى يجف.»

جانيت التي لم تتفوه بكلمة حتى الآن، التفتت الى زوجها وعيناها تلمعان بالدموع، وقالت:«انها شبه كارول عندما ولدت.»

ربت على كتف زوجته، واجاب:«عزيزتي تعرفين ان ذلك غير ممكن.»

«لا تجادلني لقد عانيت من الالم والعذاب خلال الاثني عشرة ساعة التي سبقت ولادة كارول، وكان علي ان اعرف كيف كانت تبدو عندما اخيرا ابصرت النور. وكانت تماما مثل هذه كتلة من الشعر الاسود، وهاتان العينان، ستنقلبان خضراوين قبل ان تبلغ السنة، اني متأكدة من ذلك.»

ضحك الوالد من كلام زوجته، وقال:«ويمكنني ان ارى انك قد اعتبرتها ايضا كفرد من عائلة ريغن.»

«حسنا، ستكون من آل ريغن، ان استطاعت كارول ربح دعوى حضانتها.»

استقام مارك في وقفته من الصدمة، هل كانت كارول تحاول الحصول على حضانة ستورمي؟

الفصل التاسع

نظر مارك الى كارول فرأى وجهها يتوهج فرحاً وهي ترقب عائلتها التي ابدت اهتماما غير عادي بـ ستورمي.

«كارول؟»

عندما استدارت لتجيب، امسكها بذراعها وقادها الى مكان في الغرفة بعيد عن الآخرين.

«ماذا بشأن حضانتك لستورمي؟ انت لم تخبريني شيئاً يتعلق بهذا الامر؟» وفجأة، احست كارول بالذنب تجاهه، لقد ارادت ان تخبره بما صمتت عليه. في الواقع كانت تريد اخباره قبل اي شخص آخر، لكنها كانت شبه خائفة من ان يمانع فيما قررته. قالت له:«اعرف، كنت اريد ان اخبرك لاحقا.»

لم شعر فجأة وكأنه غير مرغوب فيه؟ من الواضح ان عائلتها قد علمت بقرار حضانتها للطفلة، لكنه هو لم يعلم وراح يوبخ نفسه، انها تحب عائلتها، فلا تتوقع ان تعاملك بالمثل، اليس كذلك. وسألها:«إذن لقد عزمت على قرارك؟»

خامرها في تلك اللحظة شعور بأن لمسة منه قد تشعرها بالاطمئنان فمدت يدها الى يده، وشبكت اصابعها بأصابعه، ثم قالت:«ادرك اني ارملة وقد أواجه متاعب للحصول عليها، لكني سأحاول يا مارك، فقد احببتها لا يمكنني التخلي عنها.»

www.liilas.com

كان مارك قد وقع في غرام كارول، لم يعرف متى حصل ذلك وكيف، لكنه قد حصل، والآن وهو ينظر اليها محاطاً بهذه العائلة الكبيرة المحبة، كان يتساءل ان كان كفؤاً لينضم الى هذه العائلة.

كان العشاء عبارة عن وجبة كبيرة من الطعام المنزلي الصنع البسيط. وكانت الاحاديث صاخبة، اذ قام الجميع بسرد جميع انواع القصص على مارك، التي تدرجت من احداث حصلت معهم في المزرعة الى اخبار مازحة عن ايام الطفولة.

اما بالنسبة لديانا فقد قصت عليه كيف انها قبلت خاتم الخطوبة من ستيفن، فقط لانها خافت ان يرمي بها في زريبة الحيوانات ان رفضت.

وفوق ذلك كان مارك مستمتعا اكثر بوجوده بين عائلة كارول، فقد كانوا مجموعة منفتحة، يقولون ما يفكرون به، وإذا ما ارادوا الاستطلاع عن اي شيء حوله، كانوا يوجهون اليه اسئلة مباشرة دون اللجوء الى التلميح بأسئلة خبيثة.

بعد العشاء اخذ الرجال قهوتهم الى غرفة الجلوس، في حين ألحت اليزابيت وديانا على كارول للصعود معهما الى الطابق العلوي، كي يلقين نظرة على فستان في مجلة للعرائس.

احتجت كارول:«ماذا عن ستورمي؟» لكن الامرأتين استمرتا في حثها على الصعود.

طمأنتها اليزابيت بان ايلا هناك، وهي تستبدل لها الحفاض، ستكون بخير.

عندما دخلن غرفة نوم كارول القديمة، واغلقن الباب، القت كارول نظرة عابرة في الغرفة، ثم سألت:«حسناً، اين المجلة؟ هل الفستان قصير ام طويل؟»

لم تبدو ديانا مرتاحة، في حين ان اليزابيت قهقهت. «لا توجد مجلة. اعني ان ديانا مازالت تبحث عن فستان. اولا اردنا ان نصعد بك الى هنا لاسباب اخرى.»

نظرت كارول الى السيدتين.«اي اسباب اخرى؟»

ابتسمت ديانا:«لقد سمعنا كل شيء حول الطفلة.»

«حسناً...»

وانهت اليزابيت الحديث عنها:«ونريد ان نعرف عن مارك.»

تقوس حاجبا كارول الى اعلى، وقالت:«لقد سبق ان طرحتم عليه اسئلة حول كل شيء، واني مندهشة كيف ان جايمس لم يسأله بعد عن رقم ضمانه الاجتماعي!»

انفجرت اليزابيت وديانا بالضحك، لكن كارول كانت تحدق بهما بذهول.«ما المضحك في ذلك؟ اتصور ان مارك قد دخل في تجربة تحت الميكماركوب بدل ان يدخل الى منزل المزرعة.»

اضافت ديانا:«آه، اني واثقة من انه لا يشعر كذلك مطلقاً، بدا وكأنه مستمتع، خاصة عندما كان ينظر اليك يا كارول.»

استطاعت كارول ان تلاحظ على الفور، ما كان يجول في خاطر المرأتين، فرفعت يديها عالياً بسرعة لتضع حداً لحديثهما:«انتما تتخيلان ذلك، وعلاوة على ذلك لم يمض على معرفتي به اكثر من ثلاثة ايام!»

التفتت ديانا إلى اليزابيت، وقالت:«هل تتذكرين كنت اقول الشيء نفسه عن ستيفن!»
أومأت اليزابيت برأسها ايجابا:«اتذكرها وكأنها اليوم، فقد حدث ذلك يوم ذكرى زواجي، واليوم انتما سعيدان بخطوبتكما وستتزوجان قريبا.»
«حسنا، حسنا، اذن كنت ازعجكما في حديثي عن حياتكما الغرامية مع شقيقاي، لكن ذلك مختلف، مارك... حسنا انه مميز وانا احبه كثيرا لكن ليس كحبكما لجايمس وستيفن، فمارك لا يفكر بي بتلك الطريقة، لانه اخبرني اكثر من مرة انه يرغب في ان يبقى بعيدا عن الحب والزواج.»
«هم... وهذا ما قاله لي ستيفن تماما.» قالت ديانا ذلك وهي تتبادل مع اليزابيت ابتسامة من يفهم بكنه الامور.
سألتها اليزابيت:«وانت هل تنظرين اليه نظرة مماثلة؟»
زمت كارول شفتيها، واجابت:«اليزابيت، انت تعلمين ما قاسيته مع غريغور! زواجنا كان مريعا، لقد خدعني وانا... حسنا، وانا اليوم استجمع قواي من جديد، لما علي التورط مع رجل آخر؟»
«ان بعض النساء قد لا يحتملن ذلك.» قالت ديانا ذلك بدماثة، ثم حدقت ثانية بأوليفيا.
«حسنا، استخلص مما اخبرتني به، ان مارك لا يشبه غريغور بشيء.» تمشت اليزابيت في الغرفة ثم جلست على حافة السرير، وعادت فالتفتت الى كارول.«في

الواقع نحن نظن ان العائلة كلها قد احبته.»
اجابت كارول:«اني سعيدة، وكما قلت انا ايضا احبه.»
اضافت ديانا:«تعلمين كنت قد التقطت باقة زهر العرس الخاصة بأوليفيا، اظن ان ذلك يعني شيئا ما.»
ضحكت كارول غير مصدقة ما يقال:«ما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟ حسنا، رجل اسمر طويل قد دخل الى حياتك، إضافة الى طفلة قد لا يسعني بأن افكر بشيء افضل.»
قالت اليزابيت بدعابة:«يذكرني مارك بجيمس دين المعروف بتلك الجاذبية المميزة، واظن انه عندما يبتسم وتظهر تلك الغمازة على خده...»
«حسنا، قد يقال عنه اي شيء، الا انه بشع، يا كارول.»
«عار عليك! سأخبر جايمس بأن لديك عينين تجولان حولك.»
ضحكت اليزابيت ضحكة امرأة واثقة من زوجها وزواجها، وقالت:«جايمس يعرف اني لا احب سواه. وسيبقى الامر دائما على هذا الحال.»
نظرت كارول الى زوجة اخيها، واحست بما يشبه الغيرة، فلهاتين الامرأتين رجلان يحبانهما، واكثر من ذلك سترزق كل منهما قريبا بطفل. وقد لا تحظى كارول بأي من هذين الشيئين.
«كارول، لما لا تعودين غدا انت ومارك، لتناول عشاء يوم الاحد معنا.» نطقت جانيت بذلك في وقت متأخر تلك

الليلة، فيما كان مارك وكارول يتحضران للمغادرة.
ثم اضاف ستيفن:«فكرة حسنة، عودوا يا مارك، فقط خطر على بال جايمس ان نقطع حطب الموقد غداً، سيوكل اليك عملاً ما.»

* * *

عندما اوقف مارك شاحنته امام منزلها سألته كارول:
«الا تريد الذهاب الى المزرعة غداً.»
«لم تقولين ذلك؟»
حدقت كارول به، لقد كان هادئاً جداً ومنطوياً على ذاته، طوال الوقت في طريق العودة الى المنزل، وتصورت كارول انه كان نادما على قضاء امسيته معها ومع عائلتها، اجابته:«لا ادري، انه مجرد شعور.»
تنفس تنفساً منقبضاً، وطوال الوقت، واثناء عودته الى البيت، كان يشعر بها الى جانبه، كان يرغب اكثر من اي وقت مضى في ان يلمسها، ويقبلها من جديد، وكان يتساءل كيف ستكون رد فعلها، لو انه فعل ذلك.
«لقد احبت عائلتك ستورمي حباً جنونياً.»
ابتسمت كارول للطفلة التي كانت مقيدة في مقعدها وقالت:«نعم، لقد احبوها.» ثم حدقت به:«واحبوك انت ايضاً.»
لم يصدق مارك ما قالته:«آه... صحيح؟ كيف عرفت؟»
«عرفت، هل تعلم ما قالته اليزابيت عنك؟»
نظر اليها نظرة جانبية حذرة:«لا، ماذا؟»
قالت:«انك قد ذكرتها بجيمس دين الاسود الشعر.»

ارجع مارك رأسه الى خلف، وضحك قائلاً:«اظن ان ذلك كان إطراء منها.»
«كانت تعني ما تقول.» قالت كارول ذلك وهي تمد يدها لتفك رباط عربة الطفلة.
«دعيني احمل ستورمي الى المنزل، لا اريد ان يتأذى اي منكما من الجليد.»
سلمته كارول الطفلة، وبسرعة جمعت حقيبتها وحقيبة الحفاضات من ارض الشاحنة، وعندما دخلوا الى البيت اوعزت اليه كارول بحمل الطفلة الى غرفة نومها.
«بما ان السرير من الحجم الكبير، دعها تنام معي.» قالت له ذلك وهما يجتازان القاعة الكبيرة:«هكذا استطيع ان اسمع بكاءها.»
كان هناك بصيص نور يتسرب من القاعة الكبرى الى الغرفة، مضيئاً طريق مارك، وهو متجه الى السرير.
مشت كارول خلفه، ثم اضاءت مصباح طاولة صغير فيما كان مارك يضع الطفلة على السرير.
كانت ستورمي ترتدي بيجاما تغطي اسفل قدميها، فغطتها كارول بحذر ببطانيات، ثم وضعت على جانبيها وسادتين، وقالت:«اعرف انها لن تتمكن من التقلب قبل فترة طويلة، لكنني اشعر بأمان لوجود هاتين الوسادتين إلى جانبيها.»
بعد ان فرغت من مهمتها واستقامت في وقفتها، التفتت اليه وابتسمت قائلة:«ربما علي ان افكر في شراء سرير خاص للاطفال.»

www.liilas.com

«كارول...»
لاحظت نوعاً من الارتياب يسود وجهه، وادركت ما سيقوله:«اعلم، يا مارك ستقول لي ان عليّ الا اتفاءل كثيراً.»
كانت على بعد خطوة واحدة منه، اقترب مارك منها ووضع يده على كتفها:«سيؤذيك ان تتخلي عنها، وانا لا اريد ان يحصل لك ذلك.»
كانت عينا كارول تتفحصان وجهه، وهي على هذا الحال بدأ قلبها يخفق بسرعة في صدرها، اما تلك النظرة التي بانت في عينيه الرماديتين لم تكن نظرة اهتمام وقلق فحسب، لكنها كانت نظرة تنم عن عاطفة.
«آمل ان تدعو لي بالتوفيق.» قالت ذلك دون ان تعي ان صوتها قد خفت الى ما دون الهمس.
في تلك اللحظة، وهو يحدق بها، ادرك مارك انه مستعد لان يفعل اي شيء ليسعد هذه المرأة:«سأفعل.»
ارتاحت يده الدافئة على كتف كارول، وكانت الرائحة الذكية المنبعثة من العطر الذي يضعه تنعشها.
تمتم مارك:«بالنسبة للعودة الى المزرعة معك غداً قد احب ذلك، لو اردتني ان اذهب.»
لقد اسعدها بكلماته اكثر بكثير مما ارادت الاعتراف به، وقبل ان تلاحظ ما كانت تفعله، وقفت على رؤوس اصابعها وقبلت وجنته، وهي تقول:«اريدك حقاً ان تذهب.»
في اللحظة التي لمست شفتاها وجهه، كاد مارك ان

يفقد صوابه، وتشابكت يداه بشعرها الكثيف، ثم هوى بحدة على خدها.
«آه، يا كارول انت اجمل امرأة رأيتها في حياتي.» همس بحرارة ثم تنقلت اصابعه الى وجهها، حيث راحت تلامس عينيها، وأنفها وخديها، وأخيراً شفتيها. «هل تعلمين كم انا ارغب في ضمك بذراعي!» كانت كلماته وانامله التي تتحرك فوق وجهها تحاكي مشاعر كارول، ولم تقو على مقاومته. كما كانت على وشك ان تلفظ اسمه، الا انه ضمها بسرعة بين ذراعيه وغطى فمها بيده.
لم تنس كارول بعد تلك القبلة التي تبادلاها عشية العيد، احست بعاطفة مماثلة لما كانت قد احست به تلك الليلة.
لم يشعر مارك في حياته كلها، انه فقد صوابه، كما يشعر الآن، فقد نسي مكان وجوده، وكانت الدقائق الطوال تمر متباطئة، فقد نسي كل شيء بحيث ان احاسيسه قد ذابت بهوى المرأة التي بين ذراعيه، وكانت تفوح منها رائحة كرائحة الورود الحمراء تحت حرارة الشمس الدافئة.
«كارول!»
احست بدوار في رأسها، ما ان لفظ اسمها وهو يزرع القبل على خدها.
«اه... يا مارك هذا جنون لا اظن...»
جعلها تئن في داخلها، لقد ارادت ما يدور بينهما ان يكون تعبيراً عن حب، وقد يكون هذا الحب من طرفها فحسب، وقد ايقنت ذلك الآن. لقد احبت حقاً ذلك

الرجل الاسود الشعر، بابتسامته الساحرة، وعينيه الرماديتين الهادئتين، وهي تريده ان يبادلها الحب، ليس فقط بجسده، ولكن بعاطفته.

همست بوهن:«يا مارك، لا اقدر، انا... لقد استعجلنا الامور.»

وتشابكت اصابع كارول بخصلات شعره السوداء المتموجة.

«هل تعرفين كم انا بحاجة اليك الآن؟»

نعم، كانت تعرف، لانها هي ايضاً، كانت بحاجة إليه الى حد كبير.

همست:«ارجوك، لا تغضب مني.»

قال بصوت معذب:«لا تعتذري يا كارول.»

ادار ظهره لها، وقال:«اظن بعد ما حصل... حسناً ان اردت الغاء موعد الغداء، سأتفهم الامر.»

راقبته بعينين واسعتين. «الغي الموعد؟ لا اريد ان الغي اي موعد!» مدت يديها الى يديه، وشبكت اصابعها بأصابعه وتابعت:«يا مارك، اريد ان نبقى اصدقاء، اعني نستطيع نسيان ما حصل، ونبقى معاً، الا يمكننا ذلك؟»

«لا ادري، يا كارول... انا...»

وبعد ان سمعته وهو يخاطبها بصوت متردد، قالت له:«انظر يا مارك، سبق وقلت لي انك لا تود ان تتورط في زواج، وانا بالتأكيد يمكنني تفهم الوضع، لذا اظن... حسنا، اظن اني تقليدية التفكير، لانني ادرك ان ليس باستطاعتي اظهار عواطفي مع شخص

دون ان ارتبط به، ولن اطلب اليك ذلك، على اي حال. كنت قد اقنعت نفسي للمرة الألف، بأني لن اقدم على الزواج ثانية.»

كان يسمع باحترام كل ما تخبره به، لكن حقيقة، لم يعد يشعر كما كان يشعر سابقاً، كان يود اخبار كارول بأنه يرغب في الارتباط بها، وان وافقت فقلبه سيكون ملكها.

لكنها كانت قد صدته عدة مرات فيما مضى، حتى اصبح يخاف ان يبوح لها بمشاعره الحقيقية، وقد تفوهت الآن بأشياء لم تكن تعلم مدى شعوره نحوها، فهي لا تريد ان ترتبط به او بأي رجل آخر، وقال متذمراً:«علي الذهاب الآن، اراك غداً.»

كانت كارول تراقبه وهو يغادر الغرفة، مجروح الخاطر، دون ان تجد تفسيراً لذلك، وبعد لحظات سمعت صوت اقفال الباب، فعرفت انه غادر منزلها، ربما الى الابد.

همست بحدة:لم قد حدث ما حدث؟ لم لم يضعا مسافة بينهما، سألت نفسها والدموع تترقرق في عينيها، الآن تغير كل شيء! وكانت جد مرتعبة مما قد يتسبب به هذا التغير لقلبها المجروح.

صباح اليوم التالي وبينما كانت كارول تستعد للذهاب الى المزرعة للمشاركة في عشاء الاحد، اخذت تتساءل كيف ستقدر على مواجهة مارك، وتتصرف بشكل طبيعي.

كل شيء بدا غير طبيعي الى حد كبير، في الواقع كان تشعر انها محطمة، وكان ذلك باديا عليها، اذ انها لم

تغف الا لساعات قليلة، ليس لان ستورمي ايقظتها مرتين في الليل، كلا، فالامر بدا اكثر تعقيداً من ذلك، لم يكن بمقدورها ان تمحي صورة مارك من مخيلتها، ففي كل مرة كانت تحاول ان تغمض عينيها، كانت تظهر صورته امامها، لتزعجها بشتى الافكار.

لم تدر كيف سمحت لنفسها بأن تقع في حبه، فمنذ زواجها المأساوي من غريغور، كانت تظن انها لن تقدر على الحب من جديد، لكن عشية العيد دخل مارك الى منزلها، وإلى قلبها معا.

احيانا، لا نستطيع ان نقاوم انفسنا، تذكرت كارول كلمات ديانا حول الوقوع في الغرام.

والآن، باتت تدرك انها ان احبت شخصاً ليس بأمرٍ تستطيع تحقيقه او منعه، سواء كان صالحا او سيئا، فقد يحصل وحسب.

لاحقا، وصل مارك فشعرت بخفقان في قلبها، رغما عنها. لقد عاد.

«صباح الخير.» قالت وهي تغلق الباب وراءه.

«صباح الخير.» قال وعيناه الرماديتان تتأملان وجهها، فقد بدت متعبة هذا الصباح، وتساءل ما إذا كانت الطفلة قد ايقظتها، فسألها:«كيف سارت الامور مع الطفلة ليلة البارحة؟»

وبابتسامة خاطفة، اومأت اليه كي يجلس، ثم اجابته:«لقد سارت الامور على نحو جيد.» وكان ما قالته صحيحا، لكن الامور ساءت لغيابه عنها، فقد افتقدته، وكل دقيقة امضتها يقظة من دونه، كانت

تحس باشتياق إليه، كان ذلك جنوناً، كانت تعلم ان بقاءه بقربها قد يتسبب بألم مريع، لكن الامر قد يبدو مريعا عندما يغادر.

سار مارك نحو الموقد، ثم قال:«ألم تستيقظ؟»

«مرتين فقط.»

وخطر ببال مارك. كان حرياً به ان يكون هنا كي يساعدها بالاهتمام بالطفلة، ليس بمقدور امرأة الاهتمام بطفلة دون مساعدة من رجل.

على الرغم من ان ستورمي لم تكن ابنة اي منهما، فقد احس وكأن كارول والدتها وهو والدها، ويتوجب على الاهل العيش معا تحت سقف واحد. وعليهما ان يتشاركا في طاولة الطعام ونفس البيت، كان مارك يفهم ذلك اكثر من سواه.

وقال معترفا:«استيقظت ليلة البارحة ظناً مني اني سمعت صراخها. ولم استطع ان اغفو فيما بعد.»

كان هناك ما يشبه الجرح المؤلم في صدر كارول، كانت تدرك انه قد تعلق بالطفلة، ويصعب عليه مفارقتها، فهو ليس قادراً على ان يحملها اوان يرى بنفسه ان كانت بخير، وإذ مرت هذه الفكرة في رأس كارول، تهيأ لها، انها ومارك كانا تقريبا كزوجين منفصلين، والصلة بينهما هي هذه الطفلة. لم يكن امراً عجيباً، ان مارك لم يرغب بعائلة، اطرقت مفكرة.. فقد كان يفهم بالدرجة الاولى، اي نوع من الالم قد تتسبب به الزيجات المحطمة. وقالت بصوت اجش:«ما كان عليك ان تقلق، انت تعلم اني هنا، لاهتم بها.»

كان ينظر اليها وعيناه تجولان على شعرها الاسود الطويل، وشفتيها الحمراوين، كانت صارخة الجمال، ورأى مارك ان من الافضل لهما ان يمضيا وقتهما مع عائلة كارول.

اشاح مارك نظره عنها، وهو يأخذ نفساً عميقاً ويقول: «نعم كنتِ اعلم انك موجودة هنا لتعتني بها، لكنني كنت قلقاً مثلك.»

اجتازت كارول الغرفة وتقدمت منه ثم وضعت يدها على ذراعه، تطمئنه:«لا اريدك يا مارك ان تقلق بشأن ستورمي يمكنك ان تأتي للاطمئنان عنها في اي وقت، حتى في منتصف الليل.»

نقل نظره من ذراعه الذي كانت كارول ممسكة به الى وجهها، واجاب:«لا اظنها فكرة حسنة يا كارول.»

وإذ تأثرت بكلماته الجارحةٍ، ابعدت يدها بسرعة، ووضعتها خلف ظهرها، ظناً منها ان خبأتها فسوف تمنع نفسها من لمسه.

ثم تمتمت:«ربما انت على حق.» لم تكن تعي كم بدت حزينة، لم تدر لما شعرت انها مجروحة الخاطر ومنبوذة، ماذا عليها ان تفعل؟ فقد شعرت انها تتمزق من الداخل.

مرت لحظاتٍ قليلةٍ، ومارك لم يتفوه بكلمةٍ فأطلقت كارول نفساً طويلاً قالت:«إذن ان كنت جاهزاً يمكننا الانطلاق الى المزرعة، عادة والدتي تقوم بشواء الدجاج يوم الاحد، وعلينا الا نتأخر.»

بعد الغداء أدار والدها التلفزيون على لعبة فوتبول،

واخذت النسوة الطفلة الى الطابق العلوي، ودعا ستيفن وجايمس مارك لمساعدتهما في تقطيع الخشب.

«نحن عادة لا نحث ضيوفنا على العمل.» بذلك خاطبه ستيفن، فيما كان الرجال الثلاثة يجتازون المرعى الشرقي في شاحنة جايمس، لكنك اليوم قد رقيت من ضيف الى صديق للعائلة. وذلك يعني ان عليك ان تعمل.»

قال جايمس محذراً مارك:« راقب ستيفن جيداً، والا امضى الوقت جالساً على طرف السيارة، ونحن نقوم بالعمل بأكمله.»

قال مارك مستمتعاً برفقة شقيقي كارول:«قد يتوجب على تحذيركما بأني لم اقم سابقاً بقطع الحطب، لاننا لسنا بحاجة الى الكثير من الحرارة في المكان الذي أتيت منه.»

ضحك ستيفن وربت بقوة على كتفه:«يا بني، لقد اتيت الى المكان المناسب كي تتعلم كيفٍ يعمل المنشار، يعتقد جايمس ان الرجل لا يعتبر حياً، الا متى امسك منشاراً بين يديه.»

قال جايمس بذبول:«انه شيء لا يؤذي الذي تحمله واكثرِ نفعاً ايضاً.»

«حقاً؟ حسناً، من الذي ذهب الى المستشفى في الشتاء الماضي، لتغرس في رجله 12 قطبة؟»

«لم اكن انا.» أجاب ستيفن وهو يشارك مارك غمزة.

بعد مضي ساعة من الوقت كان الرجال الثلاثج ينضحون عرقاً على الرغم من حرارة الطقس الباردة،

وقد ملأوا الشاحنة حتى نصفها بالخشب المقطع، ثم قرروا بعدها ان يأخذوا استراحة قصيرة، كان جايمس قد جلب معه ابريقا من القهوة، فناول ستيفن ومارك فنجانين من القهوة، وكانا يتشاطران مقعدا على طرف السيارة.

وقال:«هل تعلم يا مارك، انا وستيفن سعيدان ان نراك مع كارول، فقد مرت بأوقات حرجة في السنة الماضية.»

اخذ مارك يحدق في السائل البني في فنجانه، وهو يقول:«اخبرتني ان زوجها كان قد قتل، اظن كان صعبا عليها ان تتغلب على حزنها.»

هز ستيفن رأسه:«صعب؟ كنت قد بدأت افكر بأنها ستحزن الى الابد.»

قطب جايمس حاجبيه، واجاب:«لا اعتقد انها قد حزنت، اظن ان غريغور قد جعلها كئيبة.»

اومأ ستيفن برأسه، موافقا:«انت محق فيما تقول... لقد اتعس حياتها، هل تعلم عندما وقع نظري على هذا الرجل لاول مرة، علمت اني لن احبه، كان انانيا.» ثم حدق في مارك وتابع:«حسنا، اصبح لديك فكرة الآن؟ اليس كذلك.»

طأطأ مارك رأسه، اصبحت الفكرة واضحة بالنسبة له، وشعر بكآبة حين علم ان كارول قد تأذت من قبل رجل، او اي امر آخر، مهما كان السبب.

اجاب جايمس:«على اي حال، نحن سعيدان انها اعتادت عليك، لم يتبادر الى ذهننا انها ستنظر ثانية الى رجل آخر. فأنت بالضبط من تحتاج إليه.»

هل ظن شقيقا كارول انها قد اخذته على هذا المحمل؟ وبأنها كانت تهتم لأمره؟ وقال لهما:«قد تخطئان ان حسبتما ان كارول قد اعتادت علي، ليس الامر على هذا الغرار مطلقا.»

تبادل ستيفن وجايمس نظرات استفهام ثم قال ستيفن:«احسب اننا على خطأ، لقد تبادر الى اذهاننا من طريقة نظرتها اليك بأنكما حميمان.»

«قد تكون علاقتنا حميمة، لكن كارول تعتقد بأن هذه العلاقة يجب ان تصبح اكثر نضجا، فكارول منشغلة بالطفلة، ولا تفكر بي.»

عاد جايمس وتبادل نظرة اخرى مع اخيه، ثم قال لمارك:«كانت ترغب في طفل منذ وقت طويل، لكن ما سأقوله يبقى سرا بيننا نحن الثلاثة، انا لا اعتقد بأنها ستتوقف عن حضانة ستورمي.»

«اوافقك الرأي.» اجاب نك بقنوط:«لا ارى ان قاضيا قد يسلمها الطفلة في حين ان هناك العديد من الازواج الذين يتوسلون كي يحضنوا طفلا.»

حول مارك نظره من ستيفن الى جايمس، وعاد فنظر الى ستيفن، ثم قال:«انها ستقضي حزنا ان لم تستطع الاحتفاظ بالطفلة.»

اجاب جايمس:«نعرف، لذلك نحن سعداء بأن لديها شخصا مثلك، ستحتاج اليك كي تساعدها لتتغلب على خيبة املها.»

www.liilas.com

الفصل العاشر

سكنت كلمات جايمس هذه فكر مارك لباقي ساعات النهار، وتلك الليلة وهو عائد من مزرعة ريغن، كان قد حزم امره.

«هل تمانعين في ان ادخل، يا كارول؟» سألها ذلك وهو يوقف محرك سيارته. «هناك امر اريد ان احدثك بشأنه.»

كان قد امضى معظم ساعات النهار، بعيداً عن كارول، وقد فاجأها بسؤاله.

«ما الامر؟» سألته بعدما جمعت اغراض ستورمي ودخلا المنزل.

أومأ باتجاه الطفلة، ثم قال: «لنضعها في السرير اولاً.»

«حسناً.» وافقته الرأي، متعجبة من نبرة صوته الصارمة. ماذا هناك؟ هل سيقول لها انه من الافضل لهما ان يكف عن رؤيتها ورؤية الطفلة؟ لقد هزتها هذه الفكرة.

بعد ان وضعت كارول ستورمي في السرير، خلعت حذاءها وتوجهت الى المطبخ، لتحضر ابريقاً من القهوة الطازجة، وتبعها مارك متسائلاً كيف سيتدبر امر التحدث اليها لخمس دقائق دون ان يتمكن من لمسها.

بدأت كلامها قائلة: «آمل ألا تكون عائلتي قد جرحت شعورك بطريقة او بأخرى. احياناً تتكلم والدتي وشقيقي ستيفن بصراحة متناهية، اتمنى الا يكون احدهما قد اثار غضبك.»

اشار بيده معترضاً على كلامها، ثم انحنى فوق الطاولة، وهو على بعد خطوة او خطوتين منها، وقال: «لا شيء من هذا القبيل، عائلتك رائعة، لقد عملوا ما بوسعهم ليغمروني بلطفهم.» قال مارك ذلك ثم صمم على ان يبقى على مسافة منها، فجلس على كرسي الطاولة في وسط الغرفة، وتابع: «لكن ما يشغلني ليس عائلتك، كنت قد امضيت اليومين الماضيين منشغلاً في التفكير...»

قطعت كارول التيار الكهربائي عن ماكينة القهوة، ثم استدارت وجلست الى الطاولة. «ما الامر؟» سألته وهي تأمل الا تبدو مرتبكة كما كانت تشعر.

«الامر يتعلق بي وبك وبستورمي.»

بدأ قلب كارول يخفق بسرعة، ثم شعرت بدوار في رأسها، سألته: «ماذا بشأننا؟»

لم يستطع مارك ان يبقى بعيداً عنها، فنهض ثم وقف امامها يحدق بها، ثم قال: «اظن ان علينا ان نتزوج.»

صعقت كارول بالخبر، واحست انها عاجزة عن الوقوف: «نتزوج! ماذا تقول يا مارك؟»

اراد مارك ان يبدي عدم تأثره ولا مبالاته، لكنه لم يستطع جمح تلك العواطف التي كانت تسيطر على صوته، لم يسبق ان احب امرأة، ولم يكن قبل ذلك مالكاً الجرأة ما يكفي ليفصح عن مشاعره، لكن قلبه لم يخطىء هذه المرة، ولم يكن قد شعر بالخوف فيما مضى مثلما يشعر الآن.

«اردت ان اقول ان كنت حقاً ترغبين بحضانة ستورمي

فعلينا الزواج. وطبعاً، سيكون الامر شكلياً دون تدوينه في المحكمة.»

حدقت كارول به وقد اصابها دوار، واستفسرت قائلة: «تعني انك ستقدم على هذه الخطوة من أجلي؟ ومن اجلها؟»

لاحظت كارول انها لو لم تكن تستند الى الطاولة، لسقطت على الارض، كان مارك مستعداً للزواج منها، رأفة بها وبالطفلة. انها لفتة انسانية لم تسمع كارول بمثلها من قبل، لكن من ناحية اخرى شعرت بأنها مجروحة الخاطر، لانه لم يتقدم لطلبها، حبا بها.

قاطعته وهي تتأمل وجهه: «هل انت حقا جاد؟»

ضم ذراعيها بيديه، وأجاب: «اني جاد للغاية، اريدك ان تحصلي على ستورمي.» اراد لها ذلك بقدر ما ارادها ان تكون زوجته، وقد يقوم بفعل اي شيء ليرى هذين الامرين يتحققان.

«آسفة، يا مارك لا يمكنني ان ارتبط بك في ظل هذه الظروف، او اي ظروف اخرى.»

ودون ان تنظر في وجهه انصرفت عنه وغادرت الغرفة، تبعها مارك الى الردهة ومن ثم الى غرفة الجلوس، وسألها: «لم لا تستطيعين؟ ما المزعج في الامر؟ قد تحصلين على الطفلة التي طالما حلمت بها، وحينها يرتاح بالي بأنها في مكان آمين، ثم فيما بعد ان اردت يمكننا الانفصال.»

انفصال! كم من مرة، اطلق غريغور هذه الكلمة في وجهها؟ وتساءلت بهيستيرية، لم تكن قادرة على إسعاده وانجانب طفل. فقد طلب الانفصال عنها، كي

يجد امرأة، تمنحه هذين الامرين. والآن مجرد ان لفظ نفس الكلمة، شعرت كارول وكأنها قد طعنت بسكين.

«لا اريد الزواج! الا تفهم ذلك يا مارك؟»

ومشت بتوتر الى النافذة التي تطل على مرجة امام منزلها، تبعها مارك ثم وقف خلفها تماما، وقال: «اني افهم انك قد خضت تجربة زواج سيئة. وقد علمت من شقيقيك كم كان غريغور سيئاً، لكن يجب الا تؤثر تلك التجربة عليك وعلي، فأنت لن تتزوجيني حبا بي.»

شعرت كارول وكأنها طعنت بخنجر، ان ارادت فعلا الزواج من مارك، فسيكون ذلك حبا به، لذا لا يمكنها الزواج منه، فستعرض نفسها لشتى انواع الاذية، لقد ارادت ستورمي بشدة، لكنها لن تخاطر بتورط من هذا النوع، فقط لتمنح فرصة الاحتفاظ بالطفلة.

واطلقت ضحكة هشة. «كان لدي ما هو اسوأ من زواج سيء، يا مارك، والمذهل في الامر، اني لم الاحظ حتى مدى قباحته الا عندما توفي غريغور. اظن اني في السنوات الثلاث التي مرت على زواجنا، كنت مغمضة العينين، حاولت ان اقنع نفسي بأن كل شيء كان على ما يرام، لكن عندما قضى... كان علي ان اواجه اخيرا بالحقيقة.»

وقبل ان يتفوه بكلمة استدارت كارول لتواجهه، وتتابع: «ما الذي اخبراك شقيقاي به؟ هل اخبراك بأنه عندما هوت الطائرة بزوجي كانت صديقته معه؟»

شعر مارك بكآبة، لتلك الصورة السوداء التي رسمتها له كارول. «تعنين... ماتت معه؟»

www.liilas.com

بعد ان تجمدت ملامحها، اومأت برأسها قائلة:«نعم تلك المسكينة، احيانا احس وكأن الحظ انصفها وقضى على حياتها بدل ان يمنحها الحياة لتبقى مغرمة بغريغور هايز. لو بقيت على قيد الحياة، لما كانت حصدت منه الا الاذية.»

«آه، يا كارول، كيف تمكنت من العيش معه! هل كنت تعرفين بأمرها قبل وقوع الحادث؟»

سخرت من نفسها بصوت خافتٍ:«كانت لدي ظنوني لكني تغاضيت عنها... وكنت دائما اواصل التفكير...»

ابعدت نظرها عن وجه مارك، وهي غير قادرة ان تتابع حديثها معه، وكلها أمل بأن تحمل منه وتمنحه ولدا، حينئذ قد يتحسن زواجهما، ويصبح لديها عائلة كانت ترغب بها، لم تحتمل فكرة اخباره انها عاقر، وليست كسواها من النساء.

تابعت كلامها:«لا يهم ما كنت افكر به، لا استطيع الزواج منك، ولا من اي شخص آخر!»

هز مارك رأسهٍ باستياء، وأوضح لها:«لكنٍ زواجنا سيكون مختلفا يا كارول، لن يكون زواجا حقيقيا تغمره العواطف والحب، سيكون وسيلة شرعية، هذا كل ما في الامر.»

وسيلة شرعية! كيف يتحدث عن شيءٍ مقدس كالزواج بمثل هذه الطريقة؟ كانت تظنه مختلفا عن سواه من الرجال، ويتحلى بشهامة اخلاقية. لكن على ما يظهر نظرته الى الزواج كنظرة غريغور له، انها الوسيلة فقط يستعملونها ليبرروا غايتهم.

«كيف يمكنك ان تخاطبني على هذا النحو؟» همست بحدة، وانهمرت الدموع مٍن مقلتيها:«انك شبيه غريغور، فالزواج لا يعني لك شيئا! انه وسيلة للحصول علىٍ ما تسعى إليه، ساعة تحتاجه، وان لمٍ ينجح... حسنا.»

تابعت بضحكة أليمة:«هناك دائما الحل... الطلاق. انت لا تفهم انه يفترض في الزواج ان يكون مقدسا، وان يستمر مدى الحياة!»

انصرفت عنه وهي تلهث باكية، ثم غطت وجهها بيديها الاثنتين، قائلة:«لا اريد التحدث حول هذا الموضوع ثانية يا مارك.»

لم يشعر مارك في حياته بالارتباك كما شعر الآن، وهو يرقب كتفيها وهما يرتجفان وهي تنتحب بصمت.

لم يكن يتوقع ان تكون رد فعلها على هذا الشكل، وقبل ان يطلب يدها للزواج كان يداري وضعه كي لا ترفض، لانه كان يتوقع ذلك، لكنه لم يتوقع ردة فعلها العاطفية هذه، ولم يتفهم الوضع تماما، فهو لم يطلب منها ان تحبه، على الرغم من انه كان يحتاج الى حبها، كان يحاول مساعدتها. لما لم تلاحظ ذلك؟

تجرأ مارك على الاقتراب منها، ثم لمس ذراعها بيده. «اني لم اطلب الزواج منك كوسيلة لايذائك، يا كارول.» قالها بلطف، آملا ان يزيدها طمأنينة.

وهي تدير ظهرها اليه هزت رأسها وقالت:«ارجوك اتركني لوحدي يا مارك.» قالت ذلك بصوت متقطع وقد غمرت عينيها الدموع:«لم اعد قادرة على الاحتمال الآن ارجوك.»

www.liilas.com

كان مارك يعلم جيداً ما معنى ان يكون منبوذاً من قبل شخص، فهو امر خاض تجربته طِيلة حياته، لكن ان تنبذه كارول، فالامر مختلف كليا. غادر المكان وهو يشعر بألم في صدره لم يعهد مثله من قبل.

* * *

صباح اليوم التالي استيقظتِ كارول وهي تشعر وكأنها ميتة جسديا وعاطفيا. بعد ان ترك مارك منزلها، جلست تبكي حتى جفت دموعها، ثم استلقت في سريرها، مستيقظة في العتمة، تفكر بكل كلمة قالها مارك، وتتألم نادمة على كل كلمة قالتها له.

لم يكن يستحق مارك ذلك الانفجار العاطفي الذي ظهر منها، كان يحاول مساعدتها لتحصل على حضانة ستورمي، لم يقدر ان يتكهن ان كارول كانت مغرمة به، والليلة الماضية عندما طلب الزواج منها تشابك ذلك الحب بكل ما كان يقوله وبكل ما كانت تشعر به.

لا بد انه اعتقدها مثال المرأة الهستيرية المحطمة، هذا ما كانت تفكر به وهي تئن مستهزئة من نفسها، لكنه حين تحدث عن زواج شكلي، احست كارول وكأن قلبها انشطر الى اثنين، لم تكن موافقة على الفكرة التي تقدم بها. إذ كانت تطمح الى اكثر من ذلك، لكن عليها الآن ان تنسى امر الزواج بشكل كلي.

لن تستطيع ان تتزوج من مارك، فالعيش معه تحت سقف واحد سيحول دون اخفائها لحقيقة مشاعرها، وفي حال اكتشف ان كارول كانت تحبه فسيشعر بالغبن وسيجبر على البقاء مرتبط بها، لا، لا يمكنها ان

توافق على زواج كهذا، سيبدو وكأنها تعيش كابوسِ زواجها من غريغور من جديد. مارك لا يحبها، وعاجلا أم آجلا، سيلتقي بامرأة يحبها، وينجب اطفالا منها، وحينئذ ستضطر لان تدعه يرحل.

كانت كارول قد انتهت من استحمام ستورمي، والبستها بيجامة النوم، عندما رن جرس الهاتف. وهي مسرعة لتجيب تمنت ان يكون الصوت الذي تسمعه على الطرف الآخر من الخط صوت مارك.

لكن فاجأها ضابط الشرطة بصوته، وهو من كانت قد تحدثت اليه مع مارك حول موضوع ستورمي.

وسألته على عجل:«كيف يمكنني ان اخدمك حضرة الرقيب؟»

«اني اتصل بك لاعلمك بأننا قد وجدنا الشخص الذي ترك الطفلة في رواق السيد ستيوارت.»

لم تستطع كارول ان تخفي دهشتها:«من هو؟ هل هو شخص من المنطقة؟» اخذ قلبها جزعا.«وماذا عن الأم؟»

«اظن يا سيدة هايز انه من الافضل لك ان تنزلي الى الدائرة هذا الصباح متى تمكنت من ذلك، عندها نجيب على اسئلتك كلها. اتفقنا؟»

على الفور اخذت كارول ترتعش جزعاً، هل سيأخذون الطفلة منها الآن؟ كانت تحتاج لان يكون مارك معها، وقالت:«نعم حسنا سأكون هناك في وقت قريب.»

بعد انقضاء اسبوع على وجوده في المنطقة، بدا مارك متشوقاً للرجوع الى صفه في المدرسة. وهذا الصباح كان اول يوم عمل له، لكنه كان منزعجا بشكل خاص،

ليس بسبب تلامذة فظين ومشاكسين، بل لانه كان غير قادر على التركيز. وحيث ان نصف افكاره تركزت على كارول، لم يكن قادراً ان يحاضر حول موضوع التاريخ الاميركي امام صف من الشباب.

كان خائفاً ان يكون عرضه للزواج من كارول، قد غرس وتداً بينها وبينه، لن يتمكن من نزعه مطلقاً، لكن الآن لن يتسنى له ان يشغل تفكيره بالموضوع إذ لديه صف آخر بعد نصف ساعة، فقد اعد محاضرة ليلقيها امام طلابه حول مونرو دوكترين، وكان قد بذل جهداً كي لا يخرج طلابه من الصف وهم يتثائبون.

جذب انتباهه صوت طقطقة كعب عال على ارض البلاط، أدار رأسه باتجاه عتبة الباب، متوقعاً ان يكون القادم زميلةٍ له في التعليم، اتت لتهنئته بقدومه الى المنطقة، وبدلاً من ذلك، فقد تفاجأ بكارول تدخل القاعة، قالت له:«آمل اني لم اقاطعك قال لي المدير بأني قد اجدك هنا.»

هز رأسه بإعجاب، وهو يفكر كم كانت رائعة الجمال، لقد ارتدت فستاناً اسود طويلاً بأزرار ذهبية كبيرة حتى ركبتيها، وقد وضعت وشاحاً مزيناً برسوم ذهبية وسوداء، ربطته حول رأسها لترفع شعرها الاسود عن وجهها. لاحظ مارك انه كان منبهراً بجمالها، بقدر وجودها معه، ثم لاحظ شيئاً آخر، اذ لم تكن الطفلة معها، سألها بسرعة: «اين ستورمي؟ انهم لم يأخذوها منك، اليس كذلك؟»

رفعت يدها لتطرد مخاوفه.«كلا، انها مع أمي في المزرعة.»

ثم تقدمت رويداً في الغرفة، فهب مارك من مكانه، متفاجئاً، لانها كانت تبدو بحالة مضطربة.

«ما الخطب يا كارول؟»

«لا ادري، اعني، نعم... انه...»

انتظر كي تتابع حديثها وعندما لم تتكلم دار حول مكتبه ثم امسك يدها قائلاً:«يا كارول، انت ممتقعة اللون وترتجفين مثل ورقة، هل حدث امر ما؟»

انه لامر مضحك فمجرد ان سمعت صوت مارك تحسن حالها، نظرت اليه وحاولت ان تبتسم قدر ما استطاعت، ثم قالت:«اولاً، اود ان اقدم لك اعتذاري عن ليلة البارحة، فقد تفوهت بأشياء مزرية امامك، اشياء اعرف انها ليست صحيحة، انت لست مثل غريغور، واعتذر لانني قارنتك به.»

مد يده ولمس خدها، مجيباً:«لست بحاجة لتعتذري لي يا كارول.»

فكر بصمت، ان آخر شيء يفكر به هو ان يغضب من كارول. «ان كنت قد قطعتِ كل تلك المسافة الى هنا لتطلبي مني الا اكون غاضباً منك فأنا لست كذلك الآن.»

رق صوته وهو يلفظ آخر عباراته.

«اني سعيدة لذلك.» قالت ثم تنهدت متابعة:«لقد عدت لتوي من مركز الشرطة، فقد وجدوا الشخص الذي ترك ستورمي في رواق المنزل.»

شد مارك على كتفيها بقوة، وسألها:«من هو؟ هل سجنوه او سجنوها خلف قضبان السجن؟»

طأطأت كارول رأسها، واجابت:«نعم، لكني لا ارى

ان السجن وراء القضبان سيجدي اي نفع الآن.»
«من هو الفاعل، هل هو الوالد؟»
«كلا لم يكن والد الطفلة. بالرغم من اني اظن انه كان على علم بالامر، وبما انه لم يكن يريد الطفلة، فلم يهتم لما كانوا سيفعلون بها.»
في تلك اللحظة بالذات، شعرت بارتخاء في ركبتيها، فمدت يدها الى ذراعه.«اني آسفة يا مارك، يجب ان اجلس.»
قادها مارك الى مقعد خشبي طويل مقابلاً لنافذة زجاجية، وانعكست اشعة الشمس على الاثنين ثم غمرت وجه كارول المقتع بالدفء الساحر.
انتظر مارك بصبر فيما هي اخذت تلتقط انفاساً عديدة وطويلة، محاولة ان تستجمع قواها.
قالت له:«في الحقيقة ان الجد هو من ترك الطفلة امام منزلك، وعلى ما يظهر فالعائلة بأجمعها فقيرة الحال معدمة وغير مثقفة، الام صغيرة السن ولا تستطيع الاحتفاظ بالطفلة، فقد قرروا التخلي عنها.»
اخذ مارك يومىء برأسه وكأنه لم يصدق ما كان قد سمعه. «لكن لماذا؟ ولما يعطونها لي؟»
«ذلك الجزء... اظن انه الجزء الاغرب والاكثر حزناً، لم يكن اي واحد منهم يريد الطفلة، فقد اعتبروها عبئاً ثقيلا عليهم. لكن الام ارادتني ان آخذ الطفلة.»
اصيب مارك بذهول:«انت! لا بد انه شخص يعرفك؟»
هزت كارول كتفيها، وكأنها مثله لا تدري ما يدور حولها، وأجابت:«بالكاد اذكر الفتاة يا مارك، مما

اتذكره، انها كانت تلميذة في صفي، وانها كانت تأتي الى المدرسة، ربما يومين في الاسبوع، حاولت اعطاءها اهتماما خاصا، اظن انها تذكرت ذلك بلا ريب، لا ادري في كل الاحوال، اخبرت الشرطة ان والدها كان ينوي اخذ الطفلة الى منزلي، لكنه على ما يبدو ضاع بين المنزلين، وانتهت الطفلة في رواق منزلك.»
«هذا غير معقول!»
طأطأت كارول رأسها:«اعلم انه امر لا يصدق ومحزن ايضاً.»
كان يحدق بها، وفي الوقت نفسه تلمع في رأسه افكار جيدة.
«إذن! ما معنى هذا كله؟ ماذا سيحل بستورمي؟»
«لقد تنازلت الفتاة واهلها للسلطة خطيا عن حقهم في الفتاة، وسيدوّن اسمها على لائحة الحضانة.»
سألها بلطف:«وهذا يخيفك، اليس كذلك؟»
طأطأت رأسها موافقة، وعيناها تملأهما الدموع. ثم همست:«لا تتصور كم انا خائفة.»
انحدرت دمعة على خدها، قام مارك بمسحها بباطن اصبعه، كان يريد مساعدتها، قد يفعل اي شيء كي تكون سعيدة، ان سمحت له بذلك فقال لها:«لذا علينا ان نتزوج يا كارول، ان وجدتنا المحكمة متزوجين، فان فرصتنا بالحصول عليها ستكون اكبر بكثير، هل تعلمين ذلك؟»
كانت تعلم اشياء كثيرة، وعلى رأس هذه الاشياء، انها لا تستطيع الزواج من هذا الرجل، حتى ولو على حساب خسارتها لستورمي، قالت وهي تهم

بالنهوض:«اعرف يا مارك لكني لم ابدل رأيي.» فكر بإحباط وشبك اصابعه بشعرها... ماذا عليه ان يفعل؟ ماذا عليه ان يقول لها لتفكر بمنطق؟

كانت مجموعة من الشبان تتحرك بفوضى في القاعة الكبرى خارج غرفة الصف، وحين رأتهم كارول تصورت ان فرصة الغداء قد قاربت على الانتهاء، وعلى وشك ان يقرع الجرس فقالت:«عليّ ان اذهب.»

«كارول، يجب ان نتحدث حول هذا الموضوع.» اجابها بذلك وكان يشد على ذراعها بقوة، وهي تحاول الإنصراف، وعيناها تناشدان عينيه بأن يسامحها، اومأت برأسها:«هذا خطأ كل ما نقوم به، خطأ يا مارك.»

لم يكن هناك ما يمنعه من ان يحبها ويرغب في الزواج منها، لكن كيف له ان يخبرها بذلك، وهي تتعلق بماضيها؟ فقد رفضت حبه، ولم ترض ان تكون زوجته، فكل ما كانت تريده هو الطفلة، انه امر كان يعلمه منذ البداية لكنه لم يعد يؤثر فيه الآن.

فجأة قرع الجرس، وبدأ الطلاب يتدفقون الى الغرفة، فأجبر مارك على ان يرخي يده عن ذراع كارول.

الآن بالضبط لا يدري ما قاله او فعله حتى يدب خلاف في الرأي بينه وبينها، لعله لن يستطيع ان يجد جواباً على سؤاله هذا.

الفصل الحادي عشر

عادت كارول الى المزرعة لتأخذ ستورمي الى منزلها وحين روت على مسامع عائلتها ما علمته من دائرة الشرطة، ارتسمت علامات التعجب على وجوههم، فقد شغلهم اهتمام كارول المتزايد بالطفلة، وتخوفوا ان يحصل لها شيء ما في حال فقدت الطفلة.

وكان جايمس أكثرهم قلقاً عليها، فقد لحق بها الى السيارة حيث كانت تتأهب لمغادرة المكان. واقترح عليها بأن تمضي الليلة معهم، وهو يسلمها الطفلة. ابتسمت بكآبة، وهي تستلم ستورمي منه وتضعها في السيارة ومن ثم تربط لها حزام الامان، لطالما كان جايمس يخاف عليها، ففي كل مرة كانت تتعرض فيها لمشكلة او تحتاج لمساعدة، كانت ترجع اليه، فيعمل ما بوسعه لمساعدتها لكن هذه المرة كانت مخاوفها كبيرة من الا يتمكن احد من فعل شيء حيال هذا الامر.

لقد اخطأت في الوقوع بحب شخص لا تستطيع ان تحظى به، وطفلة لا تستطيع الاحتفاظ بها، فكيف حري بأحد ان يساعدها؟ نظرت الى شقيقها، وقالت:«لا اظن يا جايمس. عليّ العودة الى البيت لعل لجنة حقوق الطفل تحاول ان تتصل بي الليلة.»

«هل تعتقدين ان الامر سيتم في وقت قريب؟» سألها وهو يغلق باب السيارة، ثم اسند برأسه على النافذة المفتوحة.

ادارت رأسها بكآبة:«اظن ذلك، فقد صرح باركر

مونتغمري بأن الوصاية الآتية تستمر فقط لعدة ايام على الاكثر، او لحين ان يجدوا الزوجين المناسبين. اني متأكدة من اني سأضطر لتسليمها لهم في الايام القليلة القادمة.»

ربت على كتفها وقال:«كارول لا احتمل رؤيتك تتمزقين هكذا.»

شدت كارول بيديها على عينيها الموجعتين، واجابت:«قد تكون هذه فرصتي الوحيدة كي احصل على الطفلة آه، يا جايمس اني متخوفة من أن اخسرها.» ثم رفعت يديها وعاودت النظر في وجه اخيها القلق. «لقد طلب مني مارك ان اتزوج منه، قال ان الزواج قد يمنحني فرصا اكبر في حضانة الطفلة.»

صمت مارك للحظة دون ان يتفوه بكلمة، وكانت كارول تراقب ردة الفعل على وجهه، لطالما كان الامر دائما صعبا مع شقيقها... كي يتمكن الانسان ان يتكهن بما كان يجول في خاطره، والشيء الوحيد الذي تغير في قسماته، كان تقوس لاحد حاجبيه السوداوين.

«قد يساعدك الزواج، على الارجح...» قال بعد ان انقضت عدة لحظات:«وبماذا اجبته؟»

اجابت كارول على سؤاله بغصة مسموعة:«ماذا تعني، بماذا كان عليّ ان اجيبه؟ بالطبع يا جايمس كان عليّ ان ارفض.»

«لماذا؟ بسبب ما اصابك من غريغور؟»

بالفعل، كان زواجها من غريغور قد ترك في نفسها أثر جرح لا يمحى، لكن كارول كانت مدركة ان السبب

الرئيسي لتمنعها عن الاقتران به كان حبها له، لكن لم تكن قادرة على البوح بذلك لاخيها، فعاطفتها تجاه مارك كانت حديثة العهد، وشأنا يخصها وحدها، وشيء عزيز على قلبها لا يسعها ان تشارك به احدا.

وأجابت:«الا يكفي ذلك السبب؟»

تجهم وجهه:«ماذا ستفعلين، ستطلقين العنان لذاكرتك بأن تخرب عليك حياتك.»

همت كارول تريد ان تدير محرك السيارة لتنهي الحديث بينهما. «الامر ليس بتلك البساطة صدقني.»

امسك جايمس خصلة من شعرها وشدها برفق، وهو يقول:«فقط تذكري يا اختي، اني اعلم مدى المعاناة التي يعيشها الانسان، فقد عشت حياة صعبة الى ان عادت اليزابيت من افريقيا. نحن بحاجة دائما لان يحبنا احد، وانت لا تشذين عن القاعدة.»

نعم، في الحقيقة كانت بحاجة لمن يحبها، وبقيت كارول تفكر بهذا الامر طوال الوقت اثناء عودتها إلى منزلها، لكنها لم تترك المجال لمارك كي يحبها، خارج إطار الزواج الشرعي.

بعد عودة مارك من المدرسة الى منزله قرر ان ينزل بسيارته مباشرة الى منزل كارول، فلم يجدها هناك. عاد خائبا الى منزله، محاولا تهدئة نفسه، حتى لو كانت في المنزل، فقد كان يساوره الشك في انه سيستطيع محاورتها بمنطق، بطريقة افضل تختلف عما قام به في وقت سابق من هذا اليوم.

حتى الآن، لم يستطع طرد ذلك الشعور اليائس

والعاجز، الذي كان يخيم عليه، وكأن متفجرة قد ربطت إليه، وان لم يقو على عمل شيء لوقفها من الانفجار، فهو خاسر كارول لا محالة. سيخسران الطفلة، والعائلة التي كان يريدها بقوة، ستضيع منه الى الابد.
بقي مارك لساعة يتمشى امام منزل كارول ويراقب الطريق كي يلمح سيارتها. واخيرا عندما وقع نظره عليها وضع جاكتته عليه واسرع الى شاحنته.
كانت كارول قد دخلت لتوها الى المنزل، وهي تضع ستورمي على الكنبة حين سمعت هدير سيارة مارك، واتجهت لتفتح الباب، خفق قلبها على الرغم من الهواجس التي تملكتها حول بقائها معه. وسألها:«هل تسمحين لي بالدخول؟»
كيف عليها ان تصده، في حين كانت تتشوق في داخلها لتكون برفقته؟ دفعت الباب على مصراعيه، وابتعدت لتأذن له بالدخول.
قالت له:«لقد عدت لتوي الى المنزل.»
قال:«اعرف كنت اترقب مجيئك.»
عندما دخل الى الغرفة رأى ستورمي مستلقية على الكنبة، فقد ارتاح لرؤيتها من جديد... حملها على مقربة من صدره.
لم تتفوه كارول بكلمة، إذ كانت منشغلة ترقبه وهو يحمل الطفلة.
لقد كان واضحاً انه يحب الطفلة، راحت كارول تتساءل عن السبب الرئيسي الذي يدفعه للاقترانِ بها، فهل يريد ان يمنح نفسه فرصة لان يكون والدا لستورمي؟

وكررت عليه السؤال:«كنت تترقب قدومي، لماذا؟ هل هناك سبب يحتم عليك ان تراني؟ هل اتصلت بك الشرطة بخصوص أمر ما؟»
كان يحضن رأس الطفلة بيده بحذر، ثم رفعها لتصبح بمستوى كتفه، وشد بخده على خدها.
كانت تفوح منها رائحة بودرة ناعمة وحلوة وبريئة. لم يكن يعرف ان الاطفال لهم مثل هذه الرائحة.
لم يكن يعلم انه مسؤول عن حماية مخلوق صغير كهذه، ولم يحلم ابداً بأنه سيشعر بالابوة. لكنه يريد فعلاً ان يكون والداً، بقدر ما يريد ان تكون كارول زوجته.
اجابها:«كلا، على الارجح انهم الآن قد انهوا القضية.»
«إذن لم اردت رؤيتي؟»
اعاد الطفلة الى الكنبة، لكنها سرعان ما بدأت بالصراخ فحملها ثانية.
«اتصور انها جائعة.» قالت كارول ذلك وهي في طريقها الى حقيبة الطفلة لتأتي بزجاجة حليب:«سأذهب لاسخن زجاجة الحليب واعود.»
بعد دقيقتين عادت كارول بزجاجة حليب ساخنة، اخذها مارك وجلس ومعه ستورمي على احدى الكنبتين.
في الوقت الذي كان مارك يطعم الطفلة، ذهبت كارول الى المطبخ لتحضر ابريقاً من القهوة الطازجة، وصينية وضعت عليها بعض السندويشات. لم تكن هي جائعة، انما تصورت ان مارك قد يكون كذلك، كانت في الوقت

نفسه تحاول ان تشغل نفسها كي تبقى بعيدة عنه قدر الامكان.

«لست مضطرة ان تقومي بذلك من اجلي.» قال ذلك وهو يومىء برأسه الى حيث وضعت السندويشات.

نظرت كارول حولها، فوجدت ان مارك قد اصبح في المطبخ، وبعصبية التقطت فوطة ومسحت بها يديها.

«حسبت انك لم تأكل شيئاً هذا المساء، هل فعلت؟»

هز رأسه، كان متشنجاً ولم يستطع ان يتناول اي طعام. «لم آت الى هنا كي تحضري لي شيئاً آكله.»

حملت صينية الطعام لتضعها على طاولة المطبخ، ثم اخذت تحدق به وهو جالس الى الطاولة قبالتها، ثم سألته:«اين ستورمي؟»

«نائمة، وضعتها على سريرك، غطيتها ووضعت وسادتين على جانبيها.» اضاف جملته بسرعة قبل ان يعطيها فرصة لتجيب.

«لقد تذكرت.» قالت ذلك بهدوء وغدت عيناها رقيقتين، وهي تنظر في وجهه.

قال بصوت خافت:«اني اتذكر الاشياء اكثر مما تتصورين.» وكارول ايضاً تذكر كل لحظة قضتها بين ذراعيه، كما تذكرت كل تنهيدة وقبلة وكلمة قالها لها.

كان كل شيء يشتعل في مخيلتها، وكأن مارك كان قد طبعها به من دون ان يتملكها... سببت هذه الافكار توردا في وجنتي كارول، مما اجبرها على ان ترد نظرها عنه.

قدمت فنجاناً كبيراً من القهوة، وهي تقول:«اخبرت

اهلي بما اعلمتني به الشرطة، كما تحدثت بالموضوع مع باركر مونتغمري.»

تناول مارك قضمة من سندويشه، لكنه شعر وكأنه يقرط قطعاً من حطب، فما حري به ان يقول؟

بقيت للحظة لا تستطيع ان تنظر في عينيه، ثم هزت كتفيها، انه غير قادر على ان يشعرني بشيء من الاطمئنان، على الرغم من ان وصايتي الآتية قد تنتهي بين يوم وآخر.

بدا عليها وكأنها قد استسلمت للامر الواقع، فما كان من مارك الا ان مد يده وهزها قليلا وقال:«لا يسعنا التباطؤ في الموضوع اكثر مما حصل. كارول علينا الزواج، الآن او غداً بأسرع ما يمكن.»

لم تجبه كارول، بل اخذت تحدق شاردة الافكار، بالطرف الآخر من الغرفة، وتسائل نفسها كيف ستبدو حياتها، لو ان مارك والطفلة تخليا عنها.

«كارول هل سمعت ما قلته؟»

التفتت لتنظر اليه وقد صممت على مواجهته بقلب جريء:«مارك، لما تحاول إزعاجي بهذا الموضوع، فقد اجبتك بكلا وكنت اعنيها، لن اتزوجك الآن او في اي وقت من الاوقات.»

وضع السندويش على الصينية، واخذ يفرك وجهه بكلتا يديه المتعبتين. «اذن كل ما استطيع قوله هو انك لا تريدين ستورمي الى حد كبير.» ارادت كارول ان تصوب اليه لكمة من قبضتيها، وان تصرخ في وجهه لتبرهن له كم كان خاطئاً، لكن كل ما امكنها فعله هو انها حدقت

به بقوة، فيما احست بألم فاتر يتسلل الى جسمها.
«كيف تجرؤ على التفوه بمثل هذا القول أمامي! انت لا تعرف كم تساوي هذه الطفلة بالنسبة لي.» تابعت بصوت خافت:«انت لا تعرف كم انا اريدها!» كل تلك الشكوك والظنون التي كانت قد شعرت بها خلال الايام القليلة الماضية تجمعت فجأة في حنجرتها، وتكاد تخنقها جزعاً، وبغصة خائفة، نهضت عن مقعدها وخرجت مسرعة من الغرفة قبل ان تمنحه الفرصة بأن يوقفها.
بعد لحظات قليلة وجدها مارك في احدى غرف النوم الإضافية، كانت جالسة على حافة السرير، جلس الى جانبها ورفع وجهها مقابل وجهه. فوجد دموعاً تبلل خديها. احس بطعنات في الصميم لدى رؤيته تلك الدموع، وفي تلك اللحظة كان كل مراده ان يضمها بين ذراعيه، ويمسح بقبلاته تلك الدموع عن خديها:«آسف يا كارول! ربما كنت مخطئاً.»
«كنت مخطئاً؟!»
رفع يديه الاثنتين عالياً، ثم انزلهما بعجز وقال:«اني لا افهمك يا كارول.»
كانت ترتجف كحيوان وقع في فخ وغير قادر على التحكم بمصيره. «كلا، انت لا تفهم يا مارك، لانك لا تعرف وان علمت هل ستتمكن من معرفة سبب تعلقي بستورمي الى حد كبير.»
مد يده ولمس بها احدى وجنتيها وقال:«إذن اخبريني يا كارول، انني اكاد اتمزق من الداخل،

وارغب في مساعدتك، لكن اجهل بأية وسيلة.»
شيء ما في صوته، دفع بها على الفور لتنظر اليه، وادركت انها لم تعد تطيق التفكير بنفسها فقط، وبمشاعرها ورغباتها، كان عليها ان تفكر الآن بمارك وبما يتسبب له فقالت:«السبب هو انا...» هزت رأسها وتوقفت عن الكلام ثم حدقت به من جديد. «الحقيقة يا مارك اني لا استطيع الانجاب.»
شعر مارك وكأنه طعن في صدره، ثم تغير مزاجه، كارول حلوته كارول، لا يمكنها ان تنجب، لم يكن يصدق ما يسمعه! ولم يرغب في ان يصدق ذلك!
«كارول... أنا... لما لم تخبريني؟»
تعجبت إذ سألها مستفسراً، وراحت تتفحص وجهه بعينيها، وهي تجيب:«لاني لم استطع! ولم اكن اريد ان تعلم بالامر! هل تظن انه امر تفتخر امرأة بأن تعلن عنه للرجل الذي...» وتوقفت فجأة عن الكلام، مرتعبة مما ستتفوه به، الرجل الذي تحبه... كانت قد لمحت سابقاً لمارك بأنها تحبه! وبعجز التقطت نفساً، ثم التفتت بعيداً، واخذت تحدق في غرفة النوم التي بدت مظلمة بعد ان غربت الشمس.
«كارول انظري إلي.» رفع ذقنها نحوه، وتابع:«ألم اوضح لك الامر اكثر من مرة ان عليك ان تعلميني بكل شيء يحصل معك! حسناً، كنت اعني ان تخبريني بأي شيء وبكل شيء.» أرخى يده عن ذقنها وابقى اصبعه يمرره برقة فوق خدها. ثم قال برقة:«كان علي ان اتفهم ذلك، وقد فهمت الآن.»

لقد اثارت لمسته ورقته احساس حنين مر حلو في قلب كارول. «اني سعيدة لأنك تتفهم وضعي يا مارك، والآن اصبح واضحاً لديك لما كنت ارفض الزواج منك.»

هز رأسه بذهول، وقال:«كلا، لم يتضح لي الامر بعد، فكونك لا تنجبين امر ليس من شأنه ان يقف عائقاً دون زواجك مني. يجب ان يكون حافزاً لك لتزداد رغبتك بالزواج مني... خصوصاً ان ستورمي هي الطفل الوحيد لديك.»

نهضت واخذت تتمشى في الغرفة، وفوق الطاولة عن يمينها، كانت قد وضعت إطاراً في داخله صورة مشتركة لها ولجايمس وستيفن، فأمسكتها وامعنت النظر فيها، لدقائق طويلة قبل ان تقول:«انت لم تفكر بهذه يا مارك.»

تقدم في الغرفة ثم وقف على مقربة من كتفها، وقال:«وانت تفكرين كثيراً.»

أدارت رأسها لتنظر اليه وتقول:«احياناً، يتوجب على الواحد منا ان يفكر، لقد سبق ان عانيت مرة من هذا الامر يا مارك. فغريغور كان يريد عائلة، ولم اكن اعرف لماذا... فهو لم يكن من نمط الرجال الذين يحترمون العائلة، ربما كان ذلك بسبب انانيته، لا اعرف والاهم هو انني لم استطع ان انجب له طفلاً، لم يكن سعيداً بزواجنا، وكان يشعر بالغبن كما لم يكن راضياً عن زواجنا.»

شعرت به على مقربة حثيثة منها، وصدره قد لامس كتفيها، ويداه تعبثان بشعرها، كانت ستنتفجر بالبكاء لهفة عليه.

«ارى انك ترغب في زواج شكلي فحسب، وماذا لو انك وقعت في حب امرأة وأردت ان تنجب اطفالاً منها؟ فهل

تعلم اني حينها، سأشعر بعقدة ذنب حيال الامر؟»

كيف عليه ان يقنعها بأن مخاوفها لا اساس لها؟ كيف عليه إن يخبرها بأنه لن يقع في حب امرأة اخرى مطلقاً، لانه واقع في غرامها؟ وسيغرم بها لمدى الحياة؟ شعر انه لن يتمكن من اقناعها.

من المحتمل انها ستفكر بأنه يقوم بذلك ليطرد عنها مخاوفها، وان اقتنعت، فلا ريب انها ستبتعد عنه قدر ما تستطيع.

قال وهو يتمتم حيال هذا الوضع الميؤوس منه:«انك تستعجلين الامور، بالإضافة الى انه في حال حصول ذلك، يمكننا الانفصال، كما اوحيت اليك سابقاً.»

اندفعت نحوه، بوجه تجمد غضباً، وصرخت:«انه لشيء رائع على أم وأب، ثم تنفصل بعد ذلك وتشتت العائلة، كيف سأتمكن من شرح الامر لها! وان اقول لها بأنها لم تكن تعني لنا شيئاً، وان والدها أراد ان يرحل عنا ليكون عائلة جديدة؟»

أراد مارك ان يطلق شتيمة بكل جوارحه، لكنه بدل ان يستعجل الامور، التقط نفساً عميقاً ليهدىء من روعه، ويقول:«لن يكون الامر على هذه الصورة يا كارول.»

كانت تدور حوله وهي ترتجف. وقالت:«مارك! لن اناقش هذا الموضوع بعد الآن، في الحقيقة، افضل الا أراك بعد اليوم!»

كان مارك يتفرس بها وهو يتراجع بخطواته الى الوراء، وأحس بألم ينتابه، وكأنها غرزت في صدره خنجراً.

«وماذا بشأن ستورمي؟ هل ستمنعيني عن رؤيتها؟»

من على عتبة غرفة النوم، استدارت والتفتت اليه، فبدا لها وقد ارتسم الالم على وجهه، وادركت انها تسبب الاذى لهذا الرجل. وحقيقة، كانت تكره ان ترى ذلك، لكنها كانت تتصرف على هذا الشكل، لانها مغرمة به، وعليها ان تذكر نفسها بذلك طوال الوقت، والا ذابت آلما.

«لا، لن امنعك من رويتها، تراها ساعة تشاء، لكن ما بيننا قد انتهى، ولا تعد تذكر كلمة زواج امامي بعد اليوم!»

* * *

«حسناً، ايها التلاميذ، غداً سنناقش بنود القانون. من منكم يستطيع ان يسمي لي البنود العشرة الاوائل التي يتألف منها القانون؟»

واستدار مارك عن اللوح فرأى أياد مرفوعة في الهواء، فأشار الى فتاة شقراء تجلس على المقعد الاخير، فأجابت: «قانون حقوق الانسان، يا سيد ستيوارت.»

«صحيح، يا سينتيا.» ثم استدار الى اللوح، وبدأ بالكتابة. «إذن واجبكم المنزلي للغد سيتلخص بأن تدونوا وصفاً مختصراً لكل بند يتألف منه قانون حقوق الانسان.»

قرع الجرس وملأ الضجيج الغرفة، فيما كان التلامذة يتنادون ويندفعون باتجاه الباب.

وبينما كان مارك يجمع كومة من الاوراق ليأخذها معه الى المنزل، لاحظ ان احد التلامذة قد عاد الى غرفة الصف. التفت الى اعلى، فكان احد تلامذة صف التاريخ.

«هل نسيت شيئاً يا ماتيو؟»

اجاب:«كلا، يا سيد ستيوارت.» ثم تقدم نحو مارك، وتابع:«فقط اردت ان اسألك... حسناً، تسري شائعة في المدرسة، انك عندما كنت تلعب بايسبول في الكلية، عرض عليك اتحاد الفرق الرياضية عقداً.»

«لا ادري، اين سمعت الشائعة لكنها صحيحة.»

«واو، لما انقطعت عن اللعب؟ اعني انت لست كبيراً في السن كي تكف عن اللعب.»

اجابه مبتسماً وهو يربت على كتفه:«كلا، لست كبيراً في السن، فقد اصبت في ركبتي، وهذا امر حاسم بالنسبة لرياضي.»

قال ماتيو:«لذا استقلت.» بدا على وجهه القنوط، وكأنه احس بمدى الألم الذي تخلفه الاصابة:«اظن ان التدريس قد يكون مضجراً بالنسبة لك بعد ان كنت تدرب في نادي الفرق الصغيرة.»

اجاب مارك ضاحكا:«إنه ليس بأمر مضجر، اني استمتع بأن ارى صبياناً مثلك يفهمون ما يعني قانون حقوق الانسان.»

«هل ما تقوله صحيح؟»

اجاب:«انها الحقيقة.»

قال ماتيو:«لا بد انك تحب الاولاد.»

انه لم يمتهن التدريس لانه لم يعد قادراً على تدريب البايسبول. لقد اختارها كمهنة ليكسب قوته منها، وكان يحب ان يعايش التلاميذ، محاولاً ان يفيدهم بشيء مميز في حياتهم، فهناك الكثيرون ممن ليس لديهم اهل لترعاهم، فهو هنا كي يرعى هؤلاء، لانه يكره ان يرى

www.liilas.com

تلاميذه مهملين ومنبوذين، كما كان الحال بالنسبة إليه.
وفيما بعد، وبعد دقائق قليلة غادر مارك المبنى، وهو لايزال يفكر بتعليقات ماتيو، فكلماته جعلته يلاحظ كم هو يحب الاولاد، على الرغم من انه يقدس حريته.
على اي حال، فقد تبدل وضعه هذا كله، بعد ان وجد ستورمي في رواقه، وعلى الرغم من تخوفه من الزواج، الا انه اراد ان يكون والدا لستورمي، وليس بمقدوره ان يكون والدا لها الا اذا تزوج من كارول وحاولا معا حضانة الطفلة. لكنه رأى ان ذلك الشيء من الصعب ان يتحقق في الوقت الحاضر، فكارول غير مكترثة بأن ترى وجهه من جديد، حقيقة وعلى الارجح قد تكون اكثر سعادة ان لم تره.
واخذ يفكر بقنوط، لقد تركها وحيدة ليلة البارحة، وقد آلمه ان يكون بعيداً عنها، لكن الليلة سيذهب ليراها ويرى الطفلة، ولن يأتي على ذكر الزواج، لكنه سيلمح اليها بأنه لم ينس الموضوع.
«يا مارك؟»
ولدى سماع اسمه التفت مارك، فرأى ستيفن ريغن يتقدم بسرعة نحوه.
«ستيفن! كيف عرفت اني هنا؟»
«تذكرت انك كنت تحدث والدي عن المدرسة التي ستدرس فيها، هل انت ذاهب الى المنزل؟»
«هل من خطب؟ هل حدث أمر ما لكارول؟»
هز ستيفن رأسه، لكن من وجهه المتجهم، استطاع ان يستنتج ان سوءاً قد حصل.

«ليس هناك ما يزعج، فهي لم تتعرض لحادث او لأي شيء من هذا النوع، لكنها في حالة مزرية يا مارك، كان عليها ان تسلمهم الطفلة اليوم، فقد قدم احد العاملين في المؤسسة المسؤولة عن رعاية الطفل، واخذ ستورمي الى عائلة جديدة.»
شعر مارك وكأنه تلقى ضربة فأس:«اين هي الآن؟»
«تعني كارول؟»
هز مارك رأسه بقنوط.
«انها الآن في المزرعة، وتبدو حزينة، لم يدعها والدي تنزل بسيارتها الى منزلها، ففكرت بأن تأتي انت الى هناك وتراها، لعل هذا يساعدها.»
اندهش مارك لطلب ستيفن، وسأله:«لا اظن ان كارول ترغب برؤيتي، لم تطلب ان تراني، اليس كذلك؟»
قط ستيفن جبينه:«كلا، لكن الآن بالذات، كارول لا تدري ماذا عليها ان تقول او تفعل، وكل ما تعرفه هو انهم اخذوا الطفلة منها.»
رفع مارك وجهه، محاولاً التقاط انفاس عميقة ليسكن الألم الجاثم على صدره.
«انها غلطتي، انا قد تسببت لها بذلك.»
عقد ستيفن ذراعيه فوق صدره:«تبدو وكأنك قد فقدت صوابك كما كارول، انها ليست غلطتك. فهي متعلقة بالطفلة الى حد كبير، ألم تعلم بشأن... حسناً، كارول لا تستطيع ان تنجب اطفالا.»
«اعرف، فقد اخبرتني.»
ابدى ستيفن دهشته، واستطاع مارك ان يرى الصدمة

على وجه ستيفن، كما ادرك ان كارول لم تسر لاحد عن عدم تمكنها من الانجاب، سوى لعائلتها.
كان مارك منشغل التفكير، في حين تابع ستيفن القول:«اذن بت تعرف لما هي تتألم.»
«نعم، لا ارى اني استطيع فعل اي شيء حيال هذا الموضوع، لقد حاولت... ما كان ينبغي علي ان آخذ الطفلة الى منزل كارول تلك الليلة، كان علي اصطحابها الى مكان ما في آخر المنحدر.»
احاط ستيفن كتف مارك بذراعه، وقال:«لقد فعلت ما بوسعك من اجل الطفلة. لا تشعر بعقدة الذنب الآن، فقط تعال وتحدث الى كارول.»
«لديها أنتم يا ستيفن، انتم اهلها.»
«نعم لديها نحن، لكنها بحاجة اليكٍ.»
لم يشعر مارك في حياته، ان احداً كان يحتاجه.
ثم اجاب مذعناً:«أريد ان أراها.»
«حسناً.» وربت ستيفن على كتفه تشجيعاً له، وقال:«انها لم تعلم بأمر مجيئي إليك، وسوف لن اخبرها انك آت، لكن أؤكد لك ان العائلة كلها ستتنفس الصعداء حينً تراك.»
«ولما ذلك؟»
أجاب ستيفن ساخراً:«الا ترى ان كارول مغرمة بك؟ جميعنا نعرف ذلك. كارول تحبك.»

الفصل الثاني عشر

ردد لنفسه:«كارول تحبك، كارول تحبك.» وهو في طريقه الى مزرعة ريغن، كانت هذه الكلمات تدور في رأسه بشكل، لا يمكنه اسكاتها.
هل يعقل ان يكون ستيفن على حق؟هل تحبه كارول؟ كانت كارول قد رفضت الزواج منه، لم تكن تبدو له كأمرأة مغرمة.
ولدى وصوله الى المزرعة، استقبله ستيفن على الباب وقاده عن طريق المطبخ الى غرفة الجلوس.
كانت اليزابيت، ديانا، وجانيت يجلسن على كنبة يقلبون صفحات المجلات الخاصة بالعرائس، اما كارول فكانت جالسة على الارض مع بنجامين، حيث كان يريها العينين الجديدتين اللتين خاطتهما جانيت على وجه الكلب الذي اهدته إياه كارول.
قالت له كارول:«اني واثقة ان بادي يستطيع ان يرى بهاتين العينين أرنباً على بعد ميل واحد من هنا.»
قهقه بن:«هل سيطارد الارنب ويأكله؟»
ابتسمت كارول بكآبة:«بادي يطارد الارانب فقط، ثم يعود الى المنزل، ويأكل طعاما خاصا بالكلاب ساعة العشاء.»
قهقه بنجامين ثانية:«بادي لا يفعل ذلك يا كارول، لانه لا يأكل طعام كلاب.» نادى ستيفن بن بتحبب:«تعال الى هنا يا بني، فلنذهب مع العم جايمس لاطعام الخراف.»

www.liilas.com

كان بن دائم الاستعداد للخروج مع ستيفن، قفز من مكانه، وتبع ستيفن الى خارج الغرفة، ونهضت النسوة الثلاثة عن الكنبة، ثم نادت جانيت:«هيا يا بنات، اظن حان وقت تحضير العشاء، وزوجي يرغب بتناول الضلوع المشوية الليلة، وعلينا طهو القليل من صلصة الشواء.»

بالكاد لاحظ مارك النسوة وهن يخرجن من الغرفة بهدوء، إذ كان يمعن النظر بكارول التي كانت لاتزال على الارض تحدق به ايضا.

اقترب منها، ولاحظ انها كانت تبكي بكاءً متواصلاً مرا ، فقد انتفخ وجهها وعيناها، وبدا شعرها اشعث كما بدت حزينة جدا وايضا جميلة جدا، وسألته:«ماذا تفعل هنا؟»

اجابها بهدوء:«سمعت بشأن ستورمي.»

ابعدت نظرها عنه، ورأى مارك انها كانت تحاول جاهدة ن تداري الدموع في عينيها:«لم تكن ملزما بالمجيء، فلن تستطيع فعل شيء.»

بدا صوتها فاترا، وكأن كل ما فيها كان قد توقف عن الحياة.

لاحظ مارك انها لم تكن تريد رؤيته، فكل ما كان يشغلها هو ان تستعيد الطفلة، كانت الحقيقة مرة، قد يفهم ستيفن عاطفة ديانا تجاهه، لكنه لا يستطيع تفهم شعور شقيقته، فهي لا تحب مارك، كان يأمل الى حد الجنون ان تغرم به.

ووصل الى حد الجنون في تفكيره حتى انه كان

مستعداً لينافس كلاً من ستورمي وعائلة ريغن في حبهم لكارول.

«لم ينته الامر يا كارول، فلم يأخذها احد بعد، فقط وضعوها في دار الايتام.» ثم جلس بالقرب منها، محاولا مواساتها.

نظرت اليه، وقد بدا وجهها متغضناً، والدموع تملأ عينيها، ثم قالت باكية:«لقد اخذوها يا مارك، وكأنها لم تكن. اخذوا طفلتنا! كانت ملكي وملكك انت، وليس ملكهم، هي من حقنا.»

جذبها مارك اليه وضمها بين ذراعيه بقوة وهو يقول:«اعرف يا كارول، ان ذلك يؤلمني ايضا.» قال ذلك وقد بدا صوته غليظا مليئا بالعاطفة.

كانت تلهث باكية وهي تدفن رأسها في ثنايا قميصه وتتشبث به بيأس.

بقي مارك للحظات طويلة، يداعب شعرها، ويربت على ظهرها، كي تهدأ الدموع في عينيها، فهو لم يحتمل رؤيتها وهي تتألم على هذا الشكل، وعلى الرغم من انه لم يحسب انه سيغرم بأي امرأة، فقد احب كارول اكثر من نفسه.

اخيرا، اندفعت مبتعدة عنه، ومسحت عينيها بباطن كفيها، إذ لم تسمح لنفسها بأن تبدو منهارة امام مارك، لكن حين التفتت نحوه ورأته ازدادت تأثرا لانه اصبح جزءا من حياتها، كما تحركت في داخلها ذكريات تلك الليلة الاولى حين قدم مارك الى منزلها وبين ذراعيه ستورمي، فقد كان متجمدا من الصقيع

وغطاه الثلج. لكن كان تفكيره واهتمامه منصبين على الطفلة، وقد احبته لاجل ذلك، واليوم هناك اسباب اخرى جعلتها تحبه.

كانت تحس وكأن قلبها انفطر، ليس لانها ستتخلى عن الطفلة، لكن ايضا لانها ستتخلى عنه، فهو رجل من حقه ان ينجب اطفالا، وبما انها لا تستطيع ان تمنحه طفلا، ارادته ان يبقى حرا في اختياره امرأة تنجب. ثم قالت:«اني آسفة.» ثم نهضت من مكانها وبدأت ترفع شعرها المشعث عن وجهها.

تابع كلامها:«لم اكن اريد ان انفعل، اعتقد انك تعرف... اني اضعف امرأة قابلتها.»

«لا اعتقد انك ضعيفة، اظن انك انسانية وحسب.»

احست بغصة في حلقها، ثم استدارت وتقدمت نحو الموقد.

«نعم حسناً، اني الآن لا احس بانسانيتي، اشعر فقط بأني ميتة من الداخل.»

هز مارك رأسه ببطء، لدى سماعه تعبيرها المنهزم.

«كارول يجب ألا تستسلمي الآن، لا تحسبي ان الموضوع قد انتهى، وانهم اخذوها مني ولن استطيع ان استعيدها، علينا ان نكافح كي ترجع الينا، فأمها الحقيقية ارادتك انت ان تحصلي عليها، ربما هناك من وسيلة تجعل الام تتنازل عنها لك.»

اومأت كارول برأسها نافية:«لا اظن ذلك، المرأة صغيرة السن، وان لم تكن كذلك، فإني متأكدة، انه يتوجب علي ان استمر بإجراءات الحضانة كي احصل عليها.»

اجابها بحزم:«سوف نحصل عليها.»

«وكيف تعتزم القيام بذلك يا مارك؟ لا تتصور كم هناك من ازواج، اسماؤهم مدونة على لائحة الانتظار، وهم ينتظرون بفارغ الصبر كي تظهر مولودة مثل ستورمي، وسيكون اسمي الاخير على جدول لائحة الانتظار.»

وبعزم لا يلين، اندفع مارك اليها وامسك بذراعها.

«نحن اول من حصل على ستورمي، ونحن قد انقذناها من العاصفة الجليدية، ويجب ان يحسب لكل هذا حساب. سنتحدث الى محاميك ونعلمه بأمر زواجنا وسنريه ونري دائرة رعاية الاطفال كم نحن نريدها!»

حدا بها غضبها لان تفلت ذراعها من قبضته.

«لقد قلت لك مرارا لا تذكر تلك الكلمة امامي ثانية! كيف تفعل ذلك... تذكرني بها الآن؟ ماذا تحاول ان تفعل؟ ان تشتتني كليا؟»

كان واضحا، انه اثار غيظها، لكن مارك لم يكترث للامر، فالغضب افضل بكثير من الدموع، والآن حان الوقت لان ترى الامور على حقيقتها، قبل ان يصبح الوقت متأخرا، فلا يعود بإمكانها فعل اي شيء.

«دائما تلحين علي بأنك تريدين الطفلة الى حد كبير لما لا تقدمي البرهان على ذلك؟ لما لا تكفين عن محاولة الاختباء خلف اعذار وتبرهنين كم انت تريدينها!»

قالت معترضة:«ليس علي ان ابرهن شيئا!» واخذت تدمدم وعيناها تقدحان نارا:«ثم اني لا اختبىء وراء اعذاري!»

«نعم، انك تفعلين! لديك شتى الاسباب والاعذار كي لا تتزوجي مني. لكن كلانا يعرف ان هذه الاعذار هي ليست السبب الحقيقي لتحاربيني بها!»
فجأة هدأ كل ما في داخلها تماما، هل يدري؟ هل يدري اني احبه؟ اشاحت بنظرها عنه واخذت تحدّق في النار المشتعلة، ثم سألته:«ماذا تقول؟»
«اقول انك لا تريدين الزواج مني لانك جزعة جداً.»
«لست جزعة! اني...»
اطبق بيديه حول كتفيها، ما كان منها الا ان التفتت ونظرت اليه، فقال:«لا تكذبي عليّ يا كارول، ان خوفك من الحياة يفوق خوفك من أن تخسري ستورمي.»
«هذا ليس بصحيح!» اخذت تبكي وكان جسدها بكامله يرتجف.
دفع به يأسه لان يضغط اصابعه على كتفيها، ويقول:«انها الحقيقة يا كارول، عندما تنظرين إلي وإلى ستورمي، فإنك لا تفكرين الا بزوجك وبالطفل الذي لم تنجبيه. انت في الحقيقة لا تفكرين بي او بها، او بما قد يكون افضل لنا! انت تفكرين بنفسك!»
فجأة تحجرت عيناها الخضراوان:«انت... انت سافل قاس.» وقبل ان يتدارك ما كان يفعل، ضمها بين ذراعيه، وكانت ضمته قد ازالت الغضب الجاثم على صدرها.
ابتعد عنها وقال:«الى اللقاء يا كارول، عندما تقررين ما تريدينه بالفعل، تعرفين اين تجدينني.»
كانت كارول تراقبه وهو يغادر، وتساءلت متى سيهمد

ذلك الحنين في قلبها، وكم سيستغرق من الوقت كي تنساه.

* * *

«كارول، ما رأيك بهذا الفستان؟»
نظرت كارول الى الفستان الزهري الذي كانت اليزابيت قد وضعته على ديانا، وكانت تحاول ان تبدي اهتمامها بالامر قدر الامكان:«انه فستان زفاف خلاب.»
وبتجهم، اقتربت اليزابيت من كارول وقالت:«حسناً، لقد اتيت الى هنا كي تساعدينا، إذن عليك ان تفعلي، لا ان تجلسي هناك منقبضة الصدر.»
«لست منقبضة الصدر.» ودار شجار بين كارول وزوجة أخيها.
«حسنا.» قالت اليزابيت، وهي تمد يديها في الهواء:«إذن تصرفي على هذا النحو. تذكري الزفاف يصادف يوم عيد الحب، ولم يعد لدينا سوى وقت قصير لنجهز كل شيء، علينا ان نجد الفستان اللائق، فستانا يذهل ستيفن لحظة يراه على ديانا، يجب ان نقسو كثيراً، فنك لازال يحلم.»
قالت كارول:«حسناً، حسناً، سأحاول ان اكون اكثر حماسة، ان كان هذا يرضيكما.» من ثم ضحكت ضحكة عالية، وتابعت:«هل ابدو بحال افضل؟»
اجابتها اليزابيت:«ستبدين بحال افضل، لو انك تصرفت على سجيتك.» خلعت ديانا الفستان الزهري اللون وهي تتنهد.
«من الافضل لي ان ارتدي الفستان الذي اشتراه

لي ستيفن وارتديته في حفل زواجك يا اليزابيت.»
بدت كارول مكتئبة، كانت تحب ديانا وتتمنى لها زفافا رائعا، لكنها كانت تجد صعوبة في ان تظهر مشرقة، لقد بدت في وضع سيء، قالت لهما:«لا تكوني سخيفة، انت تستحقين فستان زفاف انيق.» ثم تقدمت من ديانا وضمتها بين ذراعيها. «لا تهتمي كثيرا لمزاجيتي يا أليسون.»
وضعت ديانا يدها على خد كارول، وأجابت:«نحن نتمنى سعادتك فحسب.»
«نعم اعرف وسأكون سعيدة، فقد امنحوني بعض الوقت، هذا كل ما احتاج اليه، والآن سأخرج لاتفرج على واجهة العرض كي اختار لك فستانا آخر تجربينه.» في اللحظة التي غادرت فيها كارول غرفة استبدال الملابس، بدأت اليزابيت وديانا تتبادلان نظرات يشوبها القلق.
قالت اليزابيت:«علينا ان نفعل شيئاً حيال هذا الامر.»
وافقتها ديانا:«انت على صواب، لكن ما الحل؟»
واخيرا، استقر رأي النسوة الثلاث على فستان عرس عاجي اللون، ومزركش من الطراز القديم، ذي ياقة عالية. بدا الفستان لائقا جدا على ديانا، وانعكس لونه على شعرها الاحمر، فازدادت جمالا.
سرت النساء الثلاث لاختيارهن فستاناً جميلاً، وقررن ان يتناولن طعام الغداء في مطعم قريب، يقدم مآكل مكسيكية شهية.

قالت ديانا:«لقد اشتقت إلى ستيفن، اذ كان عليه ان يعود الى فورت سيتل.» جلست الشابات الثلاث الى طاولة قريبة من النافذة، وبدأن بتناول رقائق التورتيلا مع الصلصة، وهن ينتظرن الطبق الاساسي.
اجابت اليزابيت:«اعلم انك تفتقدين له، لكنه سينتقل الى مركز عمله في فورت الاسبوع القادم، وعودته الى المنزل، تستأهل منك الانتظار.»
وافقتها ديانا الرأي، ضاحكة:«لقد فرحت الجدة لاجلي، حين علمت اننا سنسكن هنا، واعتقد انها افتقدت لنك اكثر من افتقادي له.»
اضافت كارول:«جميعنا مسرورون لانك وستيفن ستعيشان في مكان قريب منا.»
اجابت اليزابيت:«خصوصا جايمس، فهو لا يقر بذلك، لكنني احسب ان ستيفن يفتقد جايمس كثيرا عندما يكون غائبا.» ثم حدقت بكارول «وهو ايضا يتساءل كيف ان مارك لم يظهر مؤخرا، فهو يرغب بمجيء مارك للعشاء ذات ليلة.»
خفق قلب كارول بسرعة لدى سماعها اسم مارك، لكنها التفتت الى زوجة اخيها ورفعت كتفيها بلا مبالاة.
«اني متأكدة انه سيأتي ان انت اتصلت به.»
«في حال مجيئه، انذريني فقط كي لا اكون معكم.»
اطلقت اليزابيت صوتا ساخرا:«كارول لقد تعبت من التظاهر امامك بالحذر وكذلك هو الحال بالنسبة لديانا ولبقية العائلة، نعلم انك مستاءة بسبب ستورمي! لكن ما شأن مارك؟ نريد ان نعرف ما حصل بينكما؟»

«لم يحصل اي شيء.» اجابتها كارول بذلك وهي تحاول الا تنظر اليهما، ثم تابعت:«الآن وقد رحلت ستورمي، لم يبق هناك سبب لبقائنا سويا.»
رمقت اليزابيت ديانا قبل ان توجه انتباهها لكارول.
«كيف يمكنك قول ذلك؟»
قالت باختصار:«لان تلك هي الحقيقة.»
«قال جايمس بأن مارك طلب منك الزواج.»
بدأت يد كارول ترتجف وهي تمدها لتتناول كوب ماء، وقالت:«جايمس كثير الكلام.»
اجابت اليزابيت ساخرة:«جايمس، كثير الكلام؟»
اجابت كارول:«حسنا، اعني فيما يتعلق بموضوعي، لم يكن حريا به ان يخبركم عن الموضوع.»
تنهدت اليزابيت بامتعاض، ثم قالت ديانا:«كنا نظن انك مغرمة بمارك، والآن يبدو انك لا ترغبين حتى برؤيته.»
«انت على حق، لا اريد ان أراه، عندما...» كان عليها ان تتوقف عن الكلام، لم تستطع اخبارهما انها كلما وجدت في نفس الغرفة مع مارك كانت تحس وكأنها ستنفطر ألما، كانت تحث نفسها على متابعة حديثها، وهي تمد يدها لتتناول رقاقة تورتيلا:«صدقاني عندما اقول انه من الافضل لي ولمارك بألا نتقابل.»
سألتها اليزابيت:«إذن، مارك لا يهمك؟ كنت تقضين وقتك معه من اجل الطفلة.»
«كلا... أنا...» وعلا وجهها انزعاج ثم حدقت بالمرأتين:«ليس عليّ ان اشرح لكما شعوري نحو مارك.»

وافقتها اليزابيت الرأي:«كلا، لست مضطرة لذلك.»
قالت ديانا:«لكننا نهتم لامرك، ونحن نعلم،حسنا... تذكرين كم كنت مرتبكة عندما طلب ستيفن الزواج. مني، وقد اوعزت إليّ حينها بأنه يعوزني رؤية الاشياء بوضوح.»
قالت اليزابيت:«وأنا متأكدة من انك لم تنسي كم كنت يائسة عندما كنت احاول قطع علاقتي بسام، لكن على الرغم من خيبتي في استمرار العلاقة، فقد بقيت تحثينني على الاستمرار بعلاقتي به.»
اجابت كارول مكتئبة:«اي شخص كان عليه ان يفعل ذلك، فقد كنت تائهة وكذلك كان الامر بالنسبة لأليسون.»
بعد ان فشلت من وضع حد لاسئلتهما، انحنت كارول فوق الطاولة قبالة السيدتين، وبدأت تتحدث بصوت هادىء لكن جاد:«كلاكما تريدان معرفة حقيقة شعوري تجاه مارك؟ احبه حبا جما، واني يائسة من دونه، لكن هذا امر علي ان اعتاد عليه.»
هزت ديانا رأسها ممتعضة، في حين اطلقت اليزابيت نفسا عميقا، لاحساسها بخيبة أمل.
سألتها اليزابيت:«لماذا؟»
حاولت كارول التغاضي عن الألم الذي كان يعصر في صدرها، لكن دون جدوى، لان ذلك بان في صوتها وهي تقول:«مارك لا يحبني، حتى لو كان يحبني، فلن اتزوجه.»
«كلام مقنع!» علقت اليزابيت ساخرة: «قد يسعدك

الزواج منه، لكن لا نستطيع ان نحظى بذلك. فقد يخرب عليك خططك للاستمرار بخيبة الامل لبقية ايام حياتك.»

كانت كارول تحدّق بحركة السير في الخارج من خلال النافذة الزجاجية. «كلاكما تعتقدان ان الامر بغاية البساطة... واحسب انه يبدو كذلك لكما، فلكل منكما رجل يحبها.»

سألتها ديانا:«كيف تعرفين ان مارك لا يحبك؟ هل سألته؟»

«كلا، ولن اسأله، المسألة لا تقتصر على سؤالي او عدم سؤالي له.»

كان الاندهاش بادياً على وجه كل من اليزابيت وأليسون، ثم كررت اليزابيت القول:«المسألة ليست مسألة حب؟ هيا يا كارول، لطالما كان الحب اساس كل المسائل. لا تحاولي ان تقولي العكس.»

«حسناً.» وادركت ان هاتين السيدتين لن يقطعا حد يثهما ما لم تفضي اليهما بسرها:«اني احب مارك لدرجة اني لا... اريد الزواج منه. انتما تفهمان اني لا استطيع الانجاب. فكيف يمكنني ان اتزوجه؟ انه شاب، كيف يمكنني ان احرمه من فرصته في بناء عائلة؟»

مدت اليزابيت يدها من فوق الطاولة ولمست يد كارول:«ربما مارك لا يرغب بسواك.»

فجأة غصت كارول واغرورقت عيناها بالدموع ولم تستطع الكلام. بعد هنيهة قالت اليزابيت:«تعلمين انه

عندما طلبني جايمس للزواج، لم يسألني ان كنت قادرة على الانجاب ام لا. فالنساء حقيقة، لا يعرفن ان كانوا سينجبون الا متى حاولوا ذلك، وإذا ما احب رجل امرأة، فقد لا يعنيه ذلك البتة.»

وافقتها ديانا الرأي:«اعلم ان لدي بنجامين، وفي حالتي، قد لا يختلف الامر كثيراً، ومع ذلك فنك لم يسألني ان كنت سأنجب المزيد من الاطفال. كل ما اعرفه، هو انه كان سيتزوجني حتى لو علم اني عاقر.»

وقبل ان يقال المزيد، تقدمت نحوهم المضيفة وهي تحمل وجبة الطعام. ثم بدأن بتناول الطعام، وفي نهاية الامر، تحول حديثهن الى التحضيرات الخاصة بزفاف ديانا وستيفن.

تنفست كارول الصعداء، لكنها كانت منزعجة مما ذكرته اليزابيت وديانا حول موضوع الحب والاولاد. ربما كانت ترغب وتتوقع ان تكون الاشياء على اتم ما يمكن، ربما لو انها وافقت على الزواج من مارك، قد يغرم في النهاية بها، ولا يكترث لشيء، سوى ان يكونا معاً، وما كانت تفكر به، كان امراً اكبر مما يتوق إليه قلبها المتعب.

www.liilas.com

الفصل الثالث عشر

في اليوم التالي كان يتساقط رذاذ مطر بارد، وبدا الطقس كئيباً كمزاج مارك، لكنه لم يدعه يؤثر على نشاطه لتدريب البايسبول، وعلى ارض الملعب الرياضي، طلب مارك من الصبية ان يقوموا بحركات جمبازية روتينية، ليكتسبوا لياقة بدنية قبل حلول فصل الربيع، حيث يمكنهم التدرب في الحقل.

ناداه احد صبيان المجموعة:«لما لا يمكننا لعب لعبة الـ كات، ايها المدرب؟»

هز مارك رأسه:«لن تلعبوا البايسبول او الـ كات، قبل اسبوع آخر على الاقل، فالفريق الذي سيفوز ببطولة الولاية لهذه السنة سيكون الفريق الاقوى، واعتقد ان فريقكم سيفوز.» واضاف قائلا:«قوموا بعشر دورات حول الملعب، ثم عليكم الصعود الى نهاية المدرج وبعد ذلك النزول منه.

وبينما كان مارك يراقب مجموعته في صعودها الى آخر المدرج، لاحظ شكلا مألوفا لديه واقفا عند طرف الساحة، وانشغل فكره بشتى الافكار بينما كان مهرولا باتجاهه.

«مرحبا مارك.»

مد مارك يده مصافحاً جايمس بحرارة، وهو يقول:«سررت لرؤيتك، ما الذي اتى بك الى المدرسة؟ لا بد انك صممت على لعب البايسبول.»

ضحك جايمس، قائلاً:«لن يسعني لعب البايسبول، ان كان علي ان اقوم بكل هذه التمارين.» قال ذلك وهو يومىء الى مجموعة الصبية التي كانت تهرول مرهقة حول الملعب الرياضي.

ضحك مارك، وأجابه:«وهم ايضاً لا يحبون التدريب.»

وما لبث ان ارتسم تعبير صارم على وجه جايمس، فأيقن مارك ان الرجل لم يأت اليه ليمازحه.

وقال:«لن اضيع وقتك يا مارك، مررت فقط لأسألك عن عدم مجيئك الى المزرعة في الاسبوع الماضي، جميعنا افتقدناك.»

فكر مارك متأسفاً:جميعهم باستثناء كارول. لكنه قال:«كنت قد انشغلت بالوظيفة الجديدة.»

اجاب جايمس عابسا:«اريد ان ادخل في صلب الموضوع، واطلب منك الشيء نفسه.»

سأله مارك قبل ان يتابع حديثه:

«هل عرفت كارول شيئا عن موضوع الطفلة؟»

«كلا، لا اظن.»

«إذن... كيف حالها الآن؟ اعني كارول.»

نظر جايمس اليه وهو يفكر:«انها يائسة، لذا اتيت، اردت ان اعرف حقيقة شعورك تجاه شقيقتي.»

* * *

«جايمس، لست قادمة الى المزرعة الليلة، انسى الامر.»

قالت له كارول ذلك عبر الهاتف.

وتابعت:«كل ما اريده هو ان اتمدد امام التلفاز، وآكل السلطة.»

«انت لا تشاهدين التلفاز مطلقاً.»

قالت كاذبة:«سأشاهده الليلة.»

«يا كارول، انت تفقديني صوابي.»

اجابته:«لا تفكر بي واستمتع بوقتك.» ثم اقفلت الهاتف قبل ان تدعه يتفوه بأية كلمة اخرى.

كانت كارول تحب عادة قضاء وقتها بين اهلها، لكن الاسبوع الماضي كانت قد احست بانزعاج منهم، ولاحظت فيما بعد انهم يتصرفون على هذا النمط من باب محبتهم لها، لكن ما لم يدركوه، ان وجودها معهم سيزيد من حزنها، فجايمس لديه اليزابيت، وستيفن لديه ديانا، وأمها لديها والدها، وكارول كانت وحيدة. واخذت تفكر حزينة، قد يكون ذلك خطأها، وقد يكون ما قاله مارك صحيحاً، من الارجح انها لا تزال تعيش الماضي، ومتخوفة من مواجهة المستقبل.

كل ليلة من الاسبوع الماضي، كانت تقف كارول عند زجاج نافذة غرفة نومها، تحدّق في الاحراج باتجاه الانوار المنبعثة من منزل مارك، وكانت تتساءل عما يفعله مارك وكيف ستكون رد فعله لو انها ظهرت على عتبة بابه.

وهي الليلة تحدّق في ذلك المنزل من جديد، والحنين الذي في قلبها يزيدها يأساً، في البداية كانت تشعر باضطراب لانها ستفقد ستورمي، لدرجة انها لم تلاحظ مدى حبها لمارك، اما اليوم وبعد مضي اسبوع على

فراقه، ادركت انه يعني لها اكثر من اي شيء آخر. دفعها هذا التفكير الى ان تترك النافذة وتتناول سترتها الصوفية ثم فكرت بحدة:عشية العيد، بعدما تعرفت الى مارك كانت قد صممت على نسيان ماضيها المؤلم. واليوم قد حان الوقت كي تواجه ذلك القرار. لم يكن مارك من نوع الرجال الذين يتأثرون بسرعة، لكن الليلة، وهو يعد نفسه للذهاب الى العشاء في مزرعة عائلة ريغن، كان كلما فكر بكارول، يحس بألم في معدته.

كان كله امل بأن يكون الاسبوع الماضي كافياً لها لتدرك انهما خلقا لبعض، لكن كارول لم تخطو خطوة باتجاهه، بأن تتصل هاتفياً او تقوم بزيارة له، والآن طلب اليه جايمس ان يذهب ليقابلها، لم يكن واثقاً انه يقوم بالشيء الصواب، لكنه كان متلهفاً كي يقنعها بأنه يريدها ان تكون جزءاً من حياته.

كان ينتعل حذاءه حين سمع طرقاً على الباب، فتساءل عمن يكون القادم في مثل هذه الساعة.

عندما فتح الباب ووجد كارول في الرواق، حدق بها منذهلاً. «كارول.»

«مرحبا يا مارك هل تأذن لي بالدخول؟»

فتح الباب على مصراعيه كي تدخل.

«كان عليّ ان اخابرك قبل مجيئي، هل هاتفك يعمل الآن؟»

نظرت من حولها في الغرفة المرتبة، ثم التفتت إليه، وكان يرتدي بنطلوناً من الجينز، وقميصاً ابيض، لم

يزرره بعد وقال لها:«نعم، انه يعمل الآن لقد اصلحوه البارحة.» ثم اغلق الباب وراءه بحذر.
تقدمت كارول الى وسط الغرفة، ثم وقفت قبالته، بدا وكأنه قد خرج من الحمام لتوه، فشعره لم يزل رطبا، كما استطاعت ان تشم رائحة كولونيا ما بعد الحلاقة، تفوح منه.
بدأ يزرر قميصه، في حين بدأ قلب كارول يخفق بسرعة، وهي تقول:«انا، آه... هل كنت خارجا؟ لا اريد ان اؤخرك.»
علم من سؤالها انها لم تكن تعلم بأمر ذهابه للعشاء في المزرعة. ولم يبد عليها انها مصممة على الذهاب الى هناك، اذ كانت ترتدي جينزا قديما وسترة صوفية وحذاء باليا. وكان شعرها مربوطا من الخلف ووجهها خاليا من الزينة.
في تلك اللحظة بدت له اجمل من اي وقت مضى. ثم قال لها مؤكدا:«انك لا تؤخرينني في الخروج.»
قالت:«اظن اني بعد ان قابلتك في المزرعة...» ولم تستطع ان تتابع حديثها، فتوقفت عن الكلام واخذت نفسا عميقا... قبل ان تتابع:«لقد اشتقت اليك.»
اخذ مارك يمعن النظر فيها، متخوفا ان تكون قد تبدلت مشاعرها نحوه،وقال:«وانا اشتقت ايضا اليك.»
ثم نظرت اليه، متسائلة بلهفة:«لما لم تأت لزيارتي؟ اخبرني؟»
«لانك قلت لي انك لا تودين رؤيتي ثانية، اتذكرين؟»
تنهدت، وهي تتذكر يوم فقدت ستورمي، وفيما بعد

حين تناقشت بحدة مع مارك حول امر الزواج، فهي لازالت منذ ذلك الوقت حزينة.
«نعم، اذكر، لكن كنت آمل انك ستدرك اني لم اكن جادة في ما اقول.»
بقي يحدق فيها، وهو يجيب بدهشة:«ان لم تكوني جادة في ما تعنيه، لما تفوهت به إذن؟»
رفعت يديها بوهن ثم ارختهما على جانبيها، وقالت:«لاني كنت يائسة، كما كنت خائفة كما قلت.» ثم نظرت في وجهه، وفيما كانت عيناها تتفحصان وجهه، لم تستطع لجم مشاعرها اكثر من ذلك. فاعترفت قائلة:«كنت خائفة ان ابوح لك بالحقيقة.»
مد اصابع يده، واخذ يتحسس بها وجهها، وسألها:«وما هي الحقيقة يا كارول؟»
«انني احبك.»
كان مارك يتمنى من كل قلبه كي يسمع منها هذه الكلمات، لكنه لم يتوقع ذلك بهذه السرعة، والآن وقد سمعها، فقد اصيب بالذهول.
خافت كارول ان ترى علامات الرفض على وجهه، فتراجعت بعيدا عنه، وهمست:«الآن، اصبحت تعلم لما كنت اهاجمك على هذا الشكل.»
وضع يديه على كتفيها، وقال منذهلا:«كلا، لا اعرف السبب، ان كنت تحبينني...»
ادارت رأسها لتنظر اليه. ثم اعترفت:«عندما لاحظت مدى شعوري نحوك، ادركت اني لا استطيع ان اوافق على زواج شكلي... وان كان ذلك هو ما ترغب به، فأنا...»

«كارول، كنت قد عرضت عليك زواجاً شكلياً لانني تصورته الوسيلة الوحيدة التي تجعلك توافقين.»
اومأت برأسها وكأنها لم تصدق ما كان يقول:«لكنك قلت... يا مارك، في اول ليلة تقابلنا فيها، ان الحياة العائلية لا تناسبك.»
قال مذكراً اياها:«وانت اخبرتني الامر نفسه...»
«اعرف، لكني بدلت رأيي فيما بعد.»
اجاب:«وانا ايضا.» ثم جذبها بين ذراعيه، وتابع:«في اللحظة التي ادركت ذلك فيها، احببتك.»
«احبك اكثر من اي شخص صادفته في حياتي.»
«ظننت انك تريد الزواج مني لاجل ستورمي.»
ضمها بقوة بين ذراعيه، وضغط بحدة على جبينها، وأجاب:« اريد الزواج منك لاجل ستورمي، ولاني اريدك ان تكوني زوجتي... زوجتي الحقيقية... زوجة استطيع ضمها بين ذراعي، واقضي بقية حياتي معها لكني كنت متخوفا من الاعتراف لك بذلك، يا كارول، في الحقيقة لم يتسن لي ان اعيش ضمن عائلة من قبل. عندما انفصل والدي عن والدتي تخليا معا عني، لذا عاهدت نفسي على الا اقدم على الزواج واتسبب لنفسي ولطفل بريء بالاذى.»
رفعت كارول رأسها عن صدره، غير انه كان لا يزال يحدق فيها، فوجد انه لا يزال هناك ريبة في عينيها.
«اتفهم ذلك يا مارك، لكن... الامور تسير بسرعة، فنحن لم نتعرف على بعض منذ مدة طويلة.»
«لا يلزمني المزيد من الوقت كي اعرف حقيقة شعوري

نحوك يا كارول، فقد امضيت الاسبوع الماضي من دونك، وانا في حالة يرثى لها، لا تقولي لي بأننا لا نليق لبعضنا.»
رفعت يديها الاثنتين واحاطت بهما وجهه، ثم قالت:«اني خائفة ان اخيب ظنك إذ لا املك سوى شخصي اقدمه إليك.»
«كارول، منذ اخبرتني انك لا تنجبين، وانا اريد ان اسألك، كيف تأكدت من الامر؟ هل اشار عليك طبيب بأن لا امل لك بالانجاب؟»
اجابت:«لم ير الاطباء سبباً لعدم انجابي، لكن كوني لم انجب، افترضت ان يكون هناك خطأ ما.»
وافقها مارك القول:«وهل ان هناك من عائق بالنسبة لزوجك، هل اجرى فحصا؟»
عبست كارول:«كلا، لم يوافق على اجراء فحص الخطوبة، اظن انه كان امرا يتعلق بأنانيته.»
فجأة لمعت عينا مارك بنور الامل. «ان كان زوجك لم يجر فحصاً مخبرياً، واظهر فحصك انك على ما يرام، إذن من سيجزم ان الامر بيني وبينك سيختلف؟ قد نستطيع انجاب طفل معا.»
قبضت على يديه الاثنتين، خائفة ان تصدق ان ما يقوله قد يكون حقيقة. وقالت:«هل حقا تعتقد ان هناك املا في ان تكون المشكلة من طرف غريغور؟»
«اظن ان هناك اكثر من فرصة لمعرفة ذلك.»
اخذت تتفحص وجهه، وهي تقول:«قد يكون الامر كذلك، يا مارك لكن افترض انه لم يتحقق؟ افرض اني

لم انجب طفلاً لك؟ انت من حقك ان تكونِ والداً.»
«وانت ايضاً تستحقين ان تنجبي اطفالا.» قال ذلك، وهو يجذبها نحوه، ويتابع:«وان نحن تدبرنا امر حضانة ستورمي، سيكون لدينا طفلة، وسيبدو ذلك رائعاً،وان لم نحظ بطفل، سأكون انا لك، وانت لي، وهذا في الحقيقة كل ما يهمني يا حبيبتي كارول، وسوف نتشارك انت وانا بقية ايام حياتنا مع بعضنا البعض.»
اغرورقت عيناها بدموع الفرح، وهي تقول:«لقد حاولت اليزابيت وديانا ان تخبراني بأن شعورك سيكون على هذا النحو. وكنت خائفة ان اصدقهما.»
لاول مرة منذ ان دخلت كارول منزله، بدا مبتسماً، وقال:
«ارى اني سأحظى بزوجة رائعة.»
ردت كارول له الابتسامة بالمثل، وقد بدا على محياها حب بريء:«وانا سأحظى بزوج رائع لبقية حياتي.»
ثم قال وهو ينحني بجبينه على جبينها:«قد لا تكون ستورمي معنا الآن، لكنها قد جمعتنا معا، واني اشكرها على ذلك.»
همست:«آه، يا مارك...»
فجأة، لمعت في الغرفة اضواء تحذرهما ان احدهم قادم بسيارته.
قال وهو يضحك:«ارى ان اليزابيت وأليسون قد ارسلتا متطوعين وراءنا، انه جايمس.»
انفجرت كارول قائلة:«جايمس! لا بد انه اسرع بالمجيء

ورائي، لاني قطعت مكالمته، ارادني ان اذهب للعشاء في المزرعة والآن...»
نظرت اليه بدهشة وتابعت:«كنت ذاهبا الى المزرعة الليلة؟» بسرعة تقدم نحوها وطوقها بذراعيه قائلاً:«جايمس طلب مني ان اذهب ولم استطع رفض طلبه، لاني احبك.»
وفجأة بدأت تقهقه:«جايمس؟! مدبر الزيجات؟ هذا رائع؟!»
قال هامساً:«امر رائع، حسناً...»
سألها حين سمعا طرقاً على الباب:«هل تظنين ان علينا ان ندخله ونخبره بأن خطته نجحت.» مدت يدها الى يده وهي تضحك، ثم ترافقا كي يزفا لشقيقها بالانباء السارة.

www.liilas.com

الخاتمة

بعد انقضاء سنة، كانت المزرعة تتوهج بالانوار، والموسيقى تصدح، وأكثر من ذلك، فقد وصل جمع من الاصدقاء وافراد العائلة.
كانت مناسبة العيد وعيد مولد ستورمي معاً، وفي تلك اللحظة، كانت الصغيرة ذات الشعر الاسود والعينين الخضراوين، تبكي بكاءً مراً، فقد سمح ابن عمها بن للكلبين بأن يدخلا الى المنزل كي يلاعبهما مع ستورمي. لكن العم ستيفن اسرع وطرد جايك وليو الى الخارج مفسداً عليهما فرحتهما.
قالت كارول لستورمي وهي تجذبها الى حضنها وتحاول مواساتها:«لا يمكننا ان نبقي الكلبين في الداخل مع كل هؤلاء الناس، وانت لا ترغبين بأن يلتهما كعكة العيد!» أشارت الطفلة بيدها الى الباب وهي تبكي.
«انها تعرف ما تريد، يا كارول.» قالت جانيت، وهي تسير في الغرفة حاملة صينية عليها بعض السندويشات والعصير.
«ربما ان انت رافقتها الى الخارج لترى الكلبين لدقيقة او اثنتين قد يرضيها ذلك.»
رمقت جانيت ابنها بنظرةٍ ماكرة، وكان يحضن بذراعيه أوليفيا التي كانت حاملاً في شهرها السادس.
وقالت بذبول:«آه، اني متأكدةٍ انه عندما يأتي طفلك الى هنا، سوف لن تفسده ابداً.»

ربت جايمس على يد اليزابيت، وقال مؤكداً لأمه:«مطلقاً.» ثم التفتٍ الىٍ اخيه الذي كان يراقص ديانا التي كانت حاملا ايضاً. «وانت لن تفسد طفلك، اليس كذلك يا ستيفن؟»
ضحك ستيفن وقال:«ماذا؟ نفسد طفلنا الآتي؟! كلا، ابداً! نحن لمٍ ندلل بن ولن ندلل الطفل القادم، سنقوم بتربيتهم طبقاً للنظام العسكري، صح، يا ديانا؟!»
انفجر الجميع بالضحك في كل مكان من الغرفة.
وردت ديانا قائلة:«صح يا ستيفن، لذلك انسل بن الى غرفة الاستقبال وأذن للكلبين بالدخول.»
مد مارك يديه والتقط ستورمي من حضن كارول التي كانت قد تغيبت عنه طيلة الاشهر القليلة الماضية، وقد شعرٍ الجميع بالفرح والتعجب حين علموا ان كارول حاملاً في الشهر السادس، لتبرهن للاطباء ولعائلتها، ان الحب يصنع الاطفال.
وأردف مارك مخاطباً الجمع:«حسناً، اما انا وكارول لا نستطيع ان نقول اننا لن نفسد طفلنا، لان ستورمي قد افسدت سلفا.»
ناقضه الوالد القول، مضيفاً باعتزاز:«انها ليست مفسدة، لكنها عنيدة مثل عائلة ريغن.»
فجأة دخل بن الى الغرفة مسرعاً، ولم يتوقف الا حين وصل الى الكنبة حيث كانت ستورمي جالسة في حضن والدها تبكي.
«خذي يا ستورمي.» وقدم لها لعبة بشكل كلب:«يمكنك ان تأخذي بادي، فهو كلب حسن.»

جفت دموع ستورمي على الفور، وهي تتناول اللعبة بيديها، ثم انزلقت الى ارض البلاط لتلعب بها.
وبعينين دامعتين، نظرت كارول الى مارك وابتسمت.
فهتف مارك بحنان ساخر:«حين يسكت طفل، يبدأ الآخر بالبكاء، ما علِى المرء ان يفعل؟»
اجابٍ الوالد مازحا:«ادعو بأن يكون الطفل الآخر صبيا.»
بعد عدة اسابيع استجيبت الدعوات.

تمت

www.liilas.com
Eman